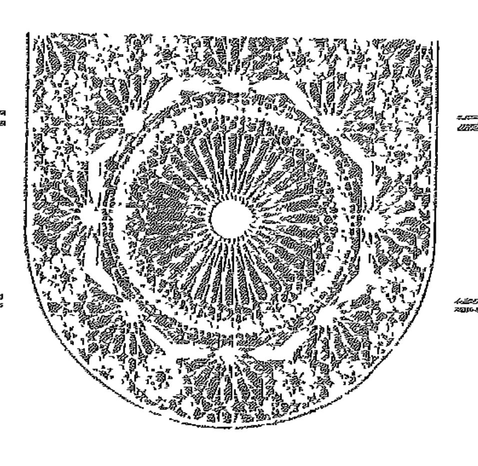


حلمي مراد يقدم كنوز كتب التراث

دكتور فاوست

ومسرحيات أخرى

١٦

حلمي مراد يقدم :

من روائع المسرح العالمى

دكتور فاوست

ومسرحيات أخرى

١ ـ دكتور فاوست	(كريستوفر مارلو)
٢ ـ يوجين أونيجن	(ألكسندر پوشكين)
٣ ـ نيكراسوف	(جان بول سارتر)
٤ ـ كلام الناس	(جوزيه إشيجيراى)
٥ ـ الهارب من السجن	(جون جالسورثى)
٦ ـ زوج مثالى	(أوسكار وايلد)

الناشر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقى - الفجالة


دكتور فاوست
(مأساة الرجل الذى باع روحه للشيطان)
للشاعر الدرامى الإنجليزى
كريستوفر مارلو
DOCTOR
FAUSTUS
BY
CH. MARLOWE

عزيزى القارئ :

الخير : أزلى فى نفوس البشر ـــ والشر أزلى كذلك ، والصراع بينهما لا يفتأ يتكرر ، بل هو دائر الرحى ، متواصل ، لا يعرف هوادة ولا ينتهى إلى نهاية ..

وفى الصفحات التالية من هذا الكتاب أحب أن أقدم لك صورة من صور الشر إذا ما تملك نفسا وغلب عليها .. فأنت ـــ ولا ريب ـــ تذكر شخصية « فاوست » ، الذى تصوره شاعر ألمانيا الأكبر « جيته » عالما استهواه الجشع والطموح ، فباع نفسه للشيطان ، فى مقابل متاع الحياة الدنيا ونعيمها ..

ولقد سبق « جيته »إلى تصوير الإنسان الذى يبيع روحه للشيطان ، كاتب آخر ، عاش قبله بثلاثة قرون تقريبا .. ذلك هو « كريستوفر مارلو » ، الذى ولد فى (كنتربرى) بإنجلترا ، فى سنة ١٥٦٤ ، وتوفى وهو فى سن مبكرة .. فى التاسعة والعشرين . على أنه ـــ برغم قصر عمره ـــ استطاع أن يبرز فى الشعر الدرامى ، أو الدراما الشعرية .. وأن يقوم بدور كبير فى فرقة « إيرل نوتنجهام المسرحية » .. وكانت الفرق المسرحية ـــ فى ذلك الحين ـــ تنتسب إلى ذوى الجاه ، لتكسب رعايتهم ..

وكان بطل « مارلو » ، الذى باع روحه للشيطان ، يدعى « فاوست » ، وقد حصل على « دكتوراه » فى اللاهوت ، وبز جميع أقرانه ، فنازعته نفسه إلى مجد لا قبل لسواه بالظفر به .. وكان بطل قصة

« جيته » يحمل الاسم ذاته .. « فاوست » !!

بقى أن تعرف أن « مارلو » كان ابن .. إسكافى ، صانع أحذية . أما « جيته » ، فكان رفيع المقام ، ربيب قصور الأمراء .. ومع ذلك ، فقد عالج الاثنان موضوعا واحدا ، مما يدل على أن النزاع بين الخير والشر ، وعلى أن جهاد الشيطان للاستيلاء على عقول البشر وأرواحهم ، موضوع يستهوى خيال الناس ، على اختلاف أوساطهم وبيئاتهم ..

تبدأ المسرحية على النمط الذى كانت تبدأ به المسرحيات فى الماضى .. فإن « الجوقة » تمهد أذهان المتفرجين للأحداث ، فتروى لهم أن **« فاوست » ولد لأبوين فقيرين فى مدينة ألمانية تدعى « رودس » ، ودرس اللاهوت فى (وتنبرج) ، حيث أظهر نبوغا ، وتفوق على زملائه ، وظفر دونهم بلقب « دكتور » .. ولكن الغرور تملكه ..**

الجوقة : .. وارتفعت أجنحته الشمعية إلى ارتفاع يفوق ما تطيق ، فما لبث الشمع أن ذاب ، وأسقطته السماء من عل ، فتردى فى أعمال الشياطين ، وراح — وقد أتخمته المعرفة — يمارس السحر الأسود اللعين .. .

المشهد الأول

(فاوست فى غرفته)

فاوست : لقد أتممت دراسة اللاهوت يا فاوست ، فلتكن كاهنا فى ظاهرك ، ولتبلغ الغاية من كل فن ، ولتعش ولتمت عاكفا على مؤلفات أرسطوطاليس .. أيها التحليل العذب ، أنت

الذى بهرنى واستولى على حواسى !.. « **إذا أحسنت الجدل ، بلغت الغاية من المنطق** » ؟ **فهل إحسان الجدل هو الغاية الرئيسية للمنطق ؟**

ولكـن لا يلبث أن يتبين أن الطب أكثر ملاءمة لذكائه الفائق .. ثم يتبين أن الطب لن يستطيع أن يدر عليه الذهب والمال ، وأن يؤتيه مجدا لم يؤته سواه ، إلا إذا استطاع أن يبعث الموتى ، ويخلد البشر ! .. **ومن ثم ، يعدل عن الطب ، ويفكر فى أن يكرس حياته لعلم اللاهوت .** ويعمد إلى الكتاب المقدس فيقرأ فى رسالة بولس إلى أهل رومية :« إن أجرة الخطية هى موت » ..

فاوست : ها !.. ولكن هذا عسير ! (يقرأ فى رسالة يوحنا الأولى) «إن قلنا إنه ليس لنا خطية ، نضل أنفسنا ، وليس الحق فينا » . إذن ، فنحن نخطئ ، وبالتالى نموت . فماذ تسمى هذا ؟.. **المقدر يكون ؟.. وداعا أيها اللاهوت ! إن ما وراء الطبيعة ، وأسفار السحر الأسود أشياء قدسية** .. خطوط ، ودوائر ، وحروف ، وأرقام .. آه ! يا له من عالم تفعمه المكاسب ، والمسرات ، والقوة ، والمجد ، والمقدرة ، ينتظر البارع المجتهد . فجميع الكائنات التى تتحرك بين القطبين ستكون رهن إشارتى !.. إن سلطان الإنسان ينتشر إلى الحد الذى يبلغه عقله . أما الساحر القوى فإنما هو إله قدير ! (**يدخل فاجنر ، فيوجه إليه فاوست الخطاب**) فاجنر .. اذكرنى

عند الصديقين العزيزين : فالدس وكورنيليوس (**وهما ممن تبحروا فى السحر**)واطلب إليهما ـــ مشددا ـــ أن يأتيا لزيارتى .

فاجنر : سأفعل يا سيدى . (**يخرج**) .

فاوست : لكم أنا معتد بهذا السحر ، واثق فيه ! .. فهل أجعل الأرواح تأتينى بما أشتهى ، وتفسر لى كل غـامض ، وتؤدى أية مهمة شاقة ، على غير ما أريد ؟ **سأجعلها تطير إلى الهند لإحضار الذهب . وتغوص فى أعماق البحر سعيا وراء اللآلئ . ستقرأ لى غريب الفلسفة ، وتكشف لى أسرار الملوك** ، وتبنى حول ألمانيا سياجا من نحاس ، وتجرى نهر (الراين) حول (وتـنبرج) . سأعبئ الجند بالمال الذى تجمعه ، وأطرد من أرضنا أمير بارما ، وأتوج ملكا واحدا على مقاطعاتنا جميعا .. (**يدخل فالدس وكورنيليوس ، فيقول لهما**) أقبلا ، أيها العزيزان ، ولأنعم بالمعرفة فى حضوركما . لقـد اقتنعت ، أخيرا ، بأن أمارس السحر ، والفنون الخفية . وما أريد الآن إلا أن تكونا لى مرشدين ، أيها الصديقان .

فالدس : ينبغى أن يكون السحر فى قبر منعزل ، وأن تأخذ معك مؤلفات « بيكون » و « ألبانوس » ، وسفر المزامير ، والعهد الجديد . وغيرها من الأدوات اللازمة .. وسوف نرشدك إلى ما تعمل قبل أن ينتهى هذا اللقاء .

المشـــهد الثـانى

(فى المقبرة ، يقبل فاوست يمارس السحر)

فاوست : الآن ، وظل الأرض ينسحب من الجنوب ، وينتشر الظلمة فى السماء ، فلتشرع ، يا فاوست ، فى رقيتك . ولتدع الشياطين إلى طاعتك . فى هذه الدائرة اسم يهوه — متقاطعة حروفه — وأسماء القديسين ، وأشكال الكواكب ، والبروج . وكل هذه ستقسر الأرواح على الظهور ، فلا تخف ، وكن حازما ، وحقق غاية ما يستطيعه السحر ! (**ويقرأ الرقية ، فلا يلبث أن يظهر مفيستو**) ارجع ، وغير هيئتك ، فأنت — هكذا — أقبح من أن تكون فى خدمتى ! (**يخرج مفيستو**) أرى أن لرقيتى سلطانا . فكيف لا أكون خبيرا بهذا الفن ؟ ولكم هو لين العريكة — مفيستو ، هذا — ومطواع ، ومتواضع !

مفيستو : (**عائدا**) والآن يا فاوست ، ماذا تريدنى أن أفعل ؟

فاوست : أريدك أن تكون بجانبى ما حييت ، وأن تفعل ما آمرك به !

مفيستو : إننى أخدم لوسيفار العظيم ، ولا أتبعك إلا بإذنه !

فاوست : أوَ لم يكلفك بالظهور أمامى ؟.. ألم تظهرك تعاويذى ؟ .. تكلم !

مفيستو : إننا ، عندما نسمع أحدا يجدف على الله ، وينكر الكتب المقدسة ، نهرع إليه على أمل أن نغنم روحه السامى .

فاوست : خبرنى بما يكونه سيدك لوسيفار .

مفيستو : إنه السيد المطاع ، لكافة الشياطين .

فاوست : ألم يكن ملاكا من قبل ؟.. فكيف أصبح رئيسا للشياطين ؟

مفيستو : آه .. بالكبرياء والكفران !

فاوست : وما شأنكم ، أنتم الذين تعيشون مع لوسيفار ؟

مفيستو : إننا أرواح شقية سقطت من لوسيفار . بعد أن تآمرت معه على ربنا ، فحق عليها العذاب الأبدى مع لوسيفار !

فاوست : فلتنقل الآن هذه الأنباء إلى لوسيفار : **إن فاوست ــ وقد جر على نفسه الهلاك الأبدى ــ يقدم إليه روحه ، شريطة أن تتيح له ــ فى أربعة وعشرين عاما ــ أن يعرف كل متعة** .. هلم ، عد إلى لوسيفار القدير ، وقابلنى بعدئذ فى غرفتى ، عندما ينتصف الليل ، لتخبرنى بما يراه سيدك !

المشـــهد الثـالث

(فى منزل فاوست)

فاوست : الآن يا فاوست ، وقد حقت عليك اللعنة ، وفقـدت الأمل فى الخلاص ، فما يجديك أن تفكر فى الله ، وفى السماء ؟!.. لا تنظر إلى الوراء ، وكن ثابت العزم !.. تعال يا مفيستو ، وهات أنباء سعيدة ، من لوسيفار العظيم .. أليس الليل قد انتصف ؟.. تعال يا مفيستو ، يا عزيزى مفيستو ! (**يدخل مفيستو**)ماذ قـال لك سيـــدك لوسيفار ؟

مفيستو : سأخدمك طالما أنت حى ، لكـنك ستبتـاع خدمتـى بروحك .

فاوست : لقد وهبتك إياها ، منذ الآن !

مفيستو : لكن الهبة يجب أن تكون فى وصية مكتوبة بدمك !.. فلتجرح ذراعك ، ولتختم على روحك ، حتى يعـلنها لوسيفار ملكا خاصا له ، فى ذات يوم . ولتكن ــ بعد هذا ــ قديرا مثل لوسيفار !

فاوست : (**يجرح ذراعه**)إننى ـــ فى حبك ـــ أجرح ذراعى . وبدمى أؤكد أن روحى ملك للوسيفار العظيم ! انظر إلى هذا الدم الذى يتساقط من ذراعى ، واعتبره دليلا على

.. صدق نيتى **(يكتب وثيقة نزوله عن روحه للوسيفار)**
ولكن ، ما هذه الكتابة على ذراعى ؟ : « رجل هارب » ؟!.. وأين أستطيع الهرب ؟ فلئن لجأت إلى الله ، دفعنى إلى قرار الجحيم !.. ولكن فاوست لن يهرب ، على أى حال !

مفيستو : **(لنفسه)** : سأحضر له شيئا يسليه !**(يخرج ، ثم يعود مع زمرة من الشياطين التى تقدم إلى فاوست تيجانا ، وطيالس ، وترقص .. ثم تخرج)** .

فاوست : استلم ، يا مفيستو هذه الوثيقة . إن فيها تنازلا عن جسدى ، وروحى . ولكنها مشروطة بتنفيذ الأمور التى اتفقنا عليها .. اسمعنى ، وأنا أتلوها عليك **(يقرأ)** :

« بناء على هذه الشروط : **أولا** ـــ يصبح فاوست روحا فى شكله ، وطبيعته .. **ثانيا** ـــ يكون مفيستو خادما له ، مطيعا لأوامره .. **ثالثا** ـــ يحقق له مفيستو كل ما يبتغيه .. **رابعا** ـــ يكون مفيستو دائما فى غرفته ، غير ظاهر للعيان .. **أخيرا** ـــ يظهر مفيستو للمدعو جون فاوست ، فى كل حين ، وفى أى شكل ، أو هيئة يطلبها .. **أنزل ـــ أنا جون فاوست ، دكتور من وتنبرج ـــ بموجب هذه الوثيقة ، عن جسدى ، وروحى ، للوسيفار ، ووزيره مفيستو** . وبعد أربعة وعشرين عاما ـــ أى بعد موتى ـــ يكون لهما الحق (وفقا للشروط المكتوبة هنا ، فى حرية ، ودون ضغط أو إكراه) فى نقلى : « جسدا وروحا ولحما ، ودما ، إلى مستقرهما ، حيث كان » .

مفيستو : الآن ، يا فاوست ، اطلب ما تريد !

فاوست : هات لى زوجة !.. ولتكن أجمل فتاة فى ألمانيا ، فإنى أحب النساء ، وأشتهيهن ، ولا أستطيع العيش بلا زوجة .

مفيستو : زوجة !! أرجوك ، يا فاوست .. لا تفكر فى الزواج !

فاوست : بل أرجوك ، يا مفيستو : زوجنى !

(يخرج ، ثم يعود ومعه شيطانة . ولكن فاوست يكره شكلها) .

مفيستو : ما الزواج ، يا فاوست ، إلا لعبة تقليدية .. فإذا كنت تحبنى لا تذكره ، بعد الآن . وسوف أدعو لك أجمل الغوانى ، وأقودهن إلى فراشك ! خذ هذا الكتاب ، واقرأه جيدا ! (**يعطيه كتابا**) إن ترديد هذه السطور يجيئك بالذهب ، ورسم هذه الدائرة يثير الزوابع والرعود والبروق .. فإذا تلوت هذه الجمله ، ثلاث مرات ، أقبلت فرقة من الجن ، مدججة بالسلاح ، مستعدة للإجهاز على من تشاء !

المشهد الرابع

(فى منزل فاوست .. يدخل فاوست ومفيستو)

فاوست : إننى حين أنظر إلى السماء . يتملكنى الندم . وألعنك ، أيها الشرير ، إذ حرمتنى تلك النعم !

مفيستو : ولم ، يا فاوست ؟.. هل تعتقد أن السماء شىء عظيم ؟

لقد جعلت لينعم فيها الإنسان ، إذن فالإنسان أعظم منها .

فاوست : ما دامت قد جعلت للإنسان ، فقد جعلت لى .. **سأطرح هذا السحر ، وأعلن التوبة .. لقد أردت أن أقتل نفسى منذ أمد طويل ، إلا أن الأمل العذب كان ينتصر على اليأس العميق** !.. أيها المسيح ، يا مخلص .. أنقذ روح فاوست المعذب ! (**يدخل لوسيفار ، وبعلزبوب**) .

لوسيفار : لن ينقذ المسيح روحك ، لأنه عادل .. وروحك لم تعد تعنى أحدا سواى !

فاوست : واحسرتاه !.. ومن أنت أيها الكائن المرعب ؟

لوسيفار : أنا لوسيفار ، وهذا نائبى فى مملكة الجحيم .

بعلزبوب : لقد جئنا من الجحيم لكى نسرى عنك . وسوف تشاهد الآن « الخطايا السبع المميتة » ، فى أشكالها الحقيقية ، (**تدخل الخطايا السبع المميتة**) سلها عن أسمائها العديدة ، وأوصافها ، وطبائعها .

فاوست : من أنت ، أيتها الأولى ؟

الكبرياء : أنا الكبرياء ، أزدرى أن يكون لى أب أو أم . **وأنا كبرغوث أوفيد ، أندس فى أردان كل امرأة** . وقد أعتلى رأسها شعرا مستعارا ، أو أحلى جيدها قلادة ذهبية ، أو أقبل ثغرها مروحة من الريش ، أو احتويها

معطفا ، وأفعل — بعد ذلك — ما أريد !

فاوست : وأنت ، أيتها الثانية ؟

الطمع : أنا الطمع !خلفنى عجوز جشع ، فى حقيبة رثة ، ولو كان لأمنيتى أن تتحقق ، لاشتهيت أن يتحول هذا البيت وأهله إلى ذهب ! وحينئذ أدفنك فى صندوق الجميل !

فاوست : وما أنت ، أيتها الثالثة ؟

الغضب : أنا الغضبُ .. ليس لى أم ولا أب ، لكننى قفزت من فم أسد ، ولمّا أبلغ نصف الساعة من عمرى . ومن ذلك الحين أذرع الدنيا طولا وعرضا ، ومعى غمد خناجرى ، وأمزق لحمى عندما لا أجد من أطعنه !.. لقد كان مولدى فى جهنم ، ولتبحثوا ، فربما كان أحدكم لى أبا !

فاوست : وأنت ، أيتها الرابعة ؟

الحسد : أنا الحسد .. أبى ينظف المداخن ، وأمى تبيع المحار . أجهل القراءة فأرجو أن تحرق جميع الكتب .. ويضمر جسدى عندما أرى الآخرين يأكلون ، فلتحل المجاعة فى أنحاء الأرض ، حتى يموتوا جميعا ، وأبقى أنا وحدى !..

فاوست : اذهبى ، أيتها الزنيمة الحسود !.. وما أنت أيتها الخامسة ؟

الشره : أنا الشره .. مات أبواى ولم يتركا لى درهما ، بل غرفة خالية . وما يشبعنى فى اليوم إلا ثلاثون أكلة رئيسية ، وعشر وجبات خفيفة !.. لإسكات المعدة ! أوه ! إننى من أسرة ملكية !

(تمضى تعدد له أهلها من أصناف الطعام والشراب ، فيطردها)

فاوست : وما أنت أيتها السادسة ؟

الكسل : أنا الكسل .. ولدت على شاطئ مشمس ، وبقيت راقدة حتى هذه الساعة . ولقد آذيتمونى جدا بإحضارى من هناك .. دعوا الشر والفجور يحملانى إلى حيث كنت ، فلن أقول كلمة أخرى ، ولو أعطيتمونى فدية ملك !

فاوست : وما أنت أيتها الوقحة السابعة ؟

الفجور : أنا من تشتهى أن تنهش قطعةً صغيرة من اللحم النيىء ، وتفضلها على سمكة كبيرة مطهوة .. وأول حرف من اسمى ، هو : الفاء !

لوسيفار : اذهبن إلى الجحيم ! (**تخرج الخطايا**) ما رأيك يا فاوست ؟

فاوست : إننى راض كل الرضا .

لوسيفار : فى جهنم كل ما يدعو إلى السرور !

فاوست : آه ! لكم يسعدنى أن أرى جهنم ، ثم أعود !

لوسيفار : ستفعل . وسوف أبعث من يطلبك فى منتصف الليل . وداعا يا فاوست ، ولتذكر الشيطان دائما !

ويخرجون ، فتدخل الجوقة لتروى لنا ما حدث بعد هذا الاجتماع :
ارتقى « فاوست » السماء فرأى الكواكب والنجوم ، وانطلق بين الشرق والغرب فى سرعة مذهلة .. ولم يكد يعود إلى الأرض — بعد ثمانية أيام — حتى انطلق فى أرجائها .. ويصل إلى (روما) ، حيث

كانت الاحتفالات بعيد القديس بطرس ، وحيث كان مقدرا أن يرى « البابا » .

المشــهد الخامس

(فى قصر البابا ، وقد أعدت وليمة كبرى)

فاوست : كلا ، يا مفيستو ، انتظر وحقق رغبتى !.. أريـد أن أستخفى ، حتى يرى ذلك البابا المتعجرف ، ما أتصف به من براعة !

مفيستو : ليكن ما تشاء ، يا فاوست !.. اركع على ركبتيك !.. إنى أضع على رأسك يدى ، وأسحرك بهذه العصا . هلم ، تمنطق بهذا الحزام ، ثم اختف عن الناظرين !

(يدخل البابا وحاشيته) .

البابا : هلم إلى المائدة ، يا كبير أساقفـة ريمس !.. يا لـورد رايموند ، مد يدك !.. إنى أشكر أسقف ميلان على هذا الطبق النادر !

فاوست : شكرا لك ، يا سيدى ! **(يخطف الطبق)**

البابا : من أخذ اللحم من أمامى ؟.. يا عزيزى كبير الأساقفة ، هذا طبق شهى أهدانيه كردينال فلورانسا .

فاوست : سآكله أيضا ! **(يخطف الطبق)**

البابا : عجبى لهؤلاء الأوغاد الذين يسيئون خدمتنا !.. إلىّ ببعض

الخمر !.. يا لورد رايموند ، إنى أشرب نخب قداستك . (**ولكن فاوست يختطف القدح**) وقدحى يختفى أيضا ؟ ابحثوا عمن ارتكب هذه الجريمة !

أسقف : أعتقد أنها روح قد خرجت من المطهر ، وجاءت تطلب العفو .

البابا : قد يكون هذا .. فليأت القساوسة ، ليرتلوا شيئا يهدئ من ثورة هذه الروح المشاغبة ! (**يخرجون**) .

المشهد السادس

(بلاط الإمبراطور فى إنسبروك . يدخل مارتينو وفريدريك)

مارتينو : انظر يا فريدريك فى كل مكان ، واطمئن إلى كل شىء ، فصاحب الجلالة قادم .

فريدريك : ولكن أين البطريرك « برونو » الذى أنقذه « فاوست » من قبضة البابا ، وأعاده من روما على ظهر عفريت ؟.. ألن يكون فى صحبة الإمبراطور ؟

مارتينو : أوه ، بلى !.. ويرافقه — أيضا — ذلك الساحر الألمانى الذى سيقوم أمام الإمبراطور بتحضير أرواح أسلافه .

فريدريك : وأين بنفوليو ؟

مارتينو : إنه يغط فى نومه . فلقد أسرف بالأمس فى شرب الأنخاب !

(ينظر إلى نافذة بنفوليو ويناديه ، فيطل عليه هذا)

بنفوليو : أى شيطان يثير كما ؟

مارتينو : اخفض صوتك ، حتى لا يسمعك الشيطان ! فلقد جاء فاوست إلى القصر . وفى أعقابه ألف عفريت مستعدين لتلبية أوامره !

(موسيقى .. يدخل شارل إمبراطور الألمان ، وبرونو ، ودوق ساكسونيا ، وفاوست ، ومفيستو ، وفريدريك ، ومارتينو ، والحرس)

الإمبراطور : مرحبا بك فى بلاطنا ، يا فاوست . إننى كثيرا ما أجلس فى غرفتى ، وحيدا . فأذكر ما كان عليه أسلافى من المجد ، وكيف أثروا ، وأخضعوا الممالك ، وحققوا من جلائل الأعمال ما أخشى ألا أحققه أنا وخلفائى . ومن أولئك الذين أذكرهم الإسكندر الأكبر .. فلو استطعت بسحرك أن تصعده من أغوار الأبد ، وأن تحضر معه حبيبته الجميلة ..

فاوست : ستراهما الآن ، يا صاحب الجلالة . هلم ، يا مفيستو .

بنفوليو : **(من نافذته)** حسنا ، يا سيدى الدكتور . لكننى سأعود إلى فراشى إذا لم تعد شياطينك على جناح السرعة ، وسأموت غيظا إذا تبين لى أننى وقفت هذا الوقت كله ، نعسان متثائبا ، فى غير طائل !

فاوست : لسوف تشعر — أولا — بشىء معين . إذا لم يخذلنى سحرى ، فإننى سأغرس قرنين فى رأسك .

(موسيقي . يدخل الإسكندر من أحد الأبواب ، ويدخل داريوس — ملك الفرس — من الباب الآخر ، فيتلاقيان . الإسكندر يصرع داريوس ويأخذ تاجه . وفى خروجه يلتقى بحبيبته فيعانقها ، ويضع على رأسها التاج ، ثم يتقهقران — معا — ويحييان الإمبراطور الذى يترك مجلسه ، ويحاول أن يعانقهما ، فيمنعه فاوست ، ويأمر الأرواح بالخروج)

فاوست : (للإمبراطور) هل ترى ، يا مولاى ، أى حيوان غريب يطل هناك ، من تلك النافذة ؟

الإمبراطور : أوه ! انظر يا دوق ساكسونى ! قرنان طويلان ، فى رأس بنفوليو !

ساكسونى : ماذا ! هل هو نائم أم ميت ؟

فاوست : إنه نائم ، ولكنه لا يحلم بقرنيه .

(يناديه الإمبراطور ليوقظه ، فيسبه بنفوليو ، ثم ينتبه إلى أنه الإمبراطور)

بنفوليو : الإمبراطور !.. أين ؟ أواه !.. إن رأسى يؤلمنى !

الإمبراطور : لا بأس على رأسك ، فإنه مدعم بما فيه الكفاية . تحسس قرنيك !

فاوست : (لبنفوليو) ما رأيك الآن ، أيها الفارس ؟ خبئ رأسك ولا تجعل من نفسك هزأة العالمين ! **(يسبه بنفوليو ، فيهدده باستحضار قطيع من كلاب ضارية ، تمزقه بأنيابها)**

بنفوليو : تمهل ، تمهل !.. يا للعنة !.. اشفع لى يا مولاى ، فما أستطيع أن أحتمل هذا العذاب !

الإمبراطور : إذن ، أسألك يا عزيزى أن ترفع قرنيه ، فقد ندم بما فيه الكفاية . (**فاوست يأمر مفيستو فيرفع القرنين**)

المشـــهد الســـابع

(**فى الغابة . يدخل بنفوليو ، ومارتينو ، وفريدريك ، وأتباع**)

مارتينو : يا عزيزى بنفوليو ، أقصِ عن رأسك فكرة الثأر من الساحر !

بنفوليو : بل اتركونى أنتم ، فإنكم لا تحبوننى ! أأدعَه يهزأ بى ويجعلنى موضع السبخرية لدى كل سائس خيل ؟ هيهات أن تغمض لى عين حتى أقتل ذلك الساحر بحد سيفى .

فريدريك : سنبقى معك ، مهما يحدث . وسنقتله إذا جاء من هذا الطريق .

بنفوليو : هلم إلى المقبرة إذن ، وأعدوا كمينا وراء الشجر .

(**يدخل فاوست برأس زائف ، فيضربه .. ويسقط فاوست على الأرض**)

مارتينو : اضرب بيد قوية ! (**بنفوليو يقطع رأس فاوست**)

فريدريك : فلنفكر فى عار جديد نلحقه باسمه البغيض !

بنفوليو : أولا ، سأدق فى رأسه قرنين مشعبين ، ثم أعلقه منهما بالنافذة ، التى سبق فعلقنى بها !

مارتينو : وفيم نستخدم لحيته ؟

بنفوليو : نبيعها لمنظف المداخن !

(وفيما هم يتدبرون ضاحكين ما يفعلونه بجثته ، ينهض فاوست)

بنفوليو : اللعنة ! لقد بعث الشيطان من موته !

فريدريك : رد إليه رأسه ، بحق الله !

فاوست : ألا تعلمون أيها الأوغاد ، إن عمرى محدود بأربعة وعشرين عاما ؟.. فلو مزقتم جسدى ، أو طحنتم لحمى وعظمى ، فإننى أنهض ثانية ، وأعود رجلا حيا ، خاليا من كل ضرر !ولكن ، لم لا أثأر الآن منكم ؟

(يدعو الشياطين ، ويأمرهم أن يمثلوا أشنع تمثيل بالثلاثة)

المشـــهد الثـامن

(فى منزل فاوست)

فاوست : أين أنت يا فاوست ؟!.. أيها التعيس ، ماذا فعلت ؟ إنك ملعون ! ملعون !.. ماذا أفعل حتى أنجو من الموت ؟

مفيستو : أيها الخائن ! إنى أعتقل روحك ما دمت تخرج على طاعة مولاى !..

فاوست : أيها العزيز مفيستو ، فلتبتهل إلى مولاك ليغفر لى هذا الذنب . وسوف أؤكد بدمى ما سبق أن وعدت به لوسيفار . (**يجرح ذراعه ، ويكتب على ورقة بدمه**) . والآن ، دعنى أسألك شيئا واحدا يشتهيه قلبى : إنى أريد أن أتخذ خليلة لى ، هيلين الجميلة .. تلك التى سيطهرنى عناقها العذب من هاتيك الأفكار التى أوشكت أن تحملنى على نكث عهدى ، وإنكار القسم الذى أقسمته للوسيفار . (**تظهر هيلين ، فتعبر المسرح بين اثنين من آلهة حب ، مجنحين**) أهذا هو الوجه الجميل الذى أجرى ألف سفينة على الماء وأرق أبراج طروادة ؟.. يا هيلين الجميلة ، خلدينى بقبلة ! (**يقبلها**) إن شفتيها تمتصان روحى ! تعالى ، يا هيلين ، تعالى ! ردى إلى نفسى ! ها هنا مثواى ومستقرى ! فالنعيم فى شفتيك .

المشهد التاسع

(**نفس المكان ، فى نهاية الأربعة والعشرين عاما — رعد قاصف — يدخل لوسيفار ، وبعلزبوب ، ومفيستو**) .

لوسيفار : لقد جئنا من الجحيم ، نستطلع أحوال الرعية : أولئك

الذين تحركهم الخطيئة ، وتجعلهم أبناء للجحيم ، وعلى رأسهم : أنت ، يا فاوست !.. لقد حان الوقت الذى تسدد فيه دينك !

مفيستو : فى هذه الليلة المدلهمة ، وفى هذه الغرفة ! **(يدخل فاوست وفاجنر)**

فاوست : فاجنر ، لقد قرأت وصيتى ، فما رأيك فيها ؟

فاجنر : مدهشة ، يا سيدى ! وإنى لفى ولاء مؤكد ، أكرس لك عمرى ، وخدمتى .

فاوست : شكرا جزيلا لك ، يا فاجنر . **(يدخل ثلاثة من الطلبة ، ويخرج فاجنر)**

الأول : تلوح متغيرا ، أيها الأستاذ المبجل .

فاوست : أواه ، يا أصدقائى !.. وددت لو عشت معكم الدهر كله ، لكننى سأموت هذه الليلة !.. انظروا ! ألا يأتى ؟.. ألا يأتى ؟

الثانى : من يا فاوست ؟

الثالث : أظنه مريضا من جراء الوحدة !

الأول : فلنحضر له أطباء .. إنما هو انحراف بسيط ..

فاوست : إنما هو انحراف الخطيئة التى سممت جسدى وروحى .

الثانى : توجه إلى السماء ، يا فاوست ، واذكر أن رحمة الله واسعة !

فاوست : ولكن كفران « فاوست » لا يغتفر .. أواه يا إلٰهى !..

.. وددت لو أبكى ، ولكن الشيطان يجمد الدمع فى عينى !.. إنهما ليمسكان لسانى ، ويقيدان ذراعى فلا أرفعهما بالضراعة !

الجميع : من هما يا فاوست ؟

فاوست : لوسيفار ، ومفيستو !.. لقد وهبتهما روحى ، مقابل سحرى .. وقد حان الأجل ، وعما قليل يجئ الشيطان ليأخذنى .. اخرجوا ، واتركونى ، وإلا هلكتم معى !

الثالث : (**لزميليه**) : فلننتقل إلى غرفة مجاورة ، لنصلى من أجله !

فاوست : نعم ، صلوا من أجلى .. ومهما تسمعوا من ضجيج ، فلا تعودوا لأنه ما من شيء سينقذنى !

(**يخرج الطلاب ، وتدق الساعة الحادية عشرة**)

مفيستو : نعم ، يا فاوست .. ما دمت فقدت الرجاء فى رحمة السماء ، فليعمر اليأس قلبك ، ولتفكر فى الجحيم وحده ، لأنه سيكون مثواك المخلد !

فاوست : أيها الشيطان الخبيث !.. إنه إغراؤك الذى حرمنى السعادة الأبدية ..

مفيستو : أعترف بهذا ، وأنا جذلان !

(**يخرج مفيستو . ويدخل ملاك الخير ، وملاك الشر ، من بابين مختلفين**)

ملاك الخير : واأسفاه !.. لو كنت استمعت لى يا فاوست ،

لأتيحت لك أفراح لا تقدر . ولكنك أحببت العالم أكثر مما أحببت السماء ! (**موسيقى ، بينما يهبط عرش الذين كتبت لهم الجنة**) لو أنك اتجهت إلى السماء ، لما كان للجحيم أو الشيطان سلطان عليك !.. انظر أى مجد رائع كان ينتظرك حين تجلس على هذا العرش مع القديسين .. والآن ينبغى أن يتركك ملكك الحارس ، فأبواب الجحيم قد انفتحت ، لتنطبق عليك ! (**يخرج ، ويظهر الجحيم**) .

ملاك الشر : دع الآن عينيك المذعورتين تحدقان فى مستقر العذاب الأبدى !.. انظر : هنالك يدفع الشيطان الأرواح الملعونة بالأسياخ الملتهبة ، وتتقلب أجساد الخاطئين فى الرصاص المصهور ، والفحم المشتعل .. أما أولئك الذين يلتهمون الجمر فهم المتهالكون على اللذة ، الضاحكون من الفقير .. ولكن هذا كله لا شىء ، إذا قيس بما سترى من صنوف العذاب ! (**يخرج**)

فاوست : واحسرتاه ، يا فاوست !.. لم تعد تملك إلا ساعة واحدة من العمر ، ثم تمضى إلى عذاب لا ينتهى ! قف أيها الزمن ، ولا تنتصف يا ليل ، وأشرق أيتها الشمس ، فى نهار لا يزول !.. اجعلى هذه الساعة عاما كاملا ، أو شهرا ، أو أسبوعا ، أو يوما واحدا ، حتى أتوب وأستنقذ روحى ! .. أواه ، سأقفز إليك ،

يارب ، فمنذا الذى يجذبنى إلى أسفل ؟!.. انظر يا فاوست !.. **إن دم المسيح ينسكب من السماء ، وقطرة واحدة منه تنقذك !.. يا مخلص يسوع !..** لقد ذكرت المسيح ، فأرجو ألا يمزقنى الشيطان !.. أنقذنى يا لوسيفار !.. اسقطى فوقى أيتها الجبال ، وخبئينى من غضب الإلٰه !.. انشقى أيتها الأرض ، وابتلعينى !.. أيتها النجوم ، ارفعينى كسحابة قاتمة ، فأختفى بين الغيوم ! (**منتصف الثانية عشرة**) لقد مر نصف الساعة ، وسوف تنقضى الساعة كلها وشيكا !.. يا إلٰهى . إذا لم تغفر لى ، فضع حدا لآلامى !.. دعنى أعيش فى الجحيم ألف سنة ، ومائة ألف ، وأنقذنى فى النهاية !.. **ولكن ، ما من نهاية للأرواح الملعونة ! لماذا لم أكن مخلوقا بلا روح ؟.. ولماذا أكون مخلدا؟..** أواه ، لو كان تناسخ الأرواح حقا ، لانسلخت هذه الروح منى ، وصرت حيوانا !.. فالحيوان هو السعيد ، لأنه ما إن يموت حتى يتحلل فى العناصر ! (**تدق الساعة الثانية عشرة**) إنها تدق !.. إنها تدق !.. تحول — أيها الجسد — إلى هواء (**رعد وبرق**) تحولى — أيتها الروح — إلى قطرات من الماء واسقطى فى اليم ، واختفى إلى الأبد ! (**يدخل الشياطين**) إلٰهى ، إلٰهى ، انظر إلى بعين

الرحمة !.. لا تتثاءب ، أيها الجحيم البغيض !.. لا تأت يا لوسيفار ! سأحرق كتبى !.. أواه يا مفيستو ! (**يأخذه الشياطين ويخرجون . ثم يدخل الطلبة**)

الأول : تعاليا نطمئن على فاوست ، بعد هذه الليلة الرهيبة التى لم تشهد الدنيا لها مثيلا ، والتى تردد فيها من الصراخ المفزع ما لم تسمعه أذن قط !

الثانى : عونك أيتها السماء .. انظر ، ها هى دى أشلاؤه ، قد مزقتها يد الموت إربا !

الثالث : بل مزقتها الشياطين التى كان يتبعها !

الثانى : لئن كانت نهاية فاوست مما يأسف له كل مؤمن ، فإنه قد كان رجلا عالما ، وكان موضع التجلة والاحترام ، فى معاهدنا .. وإذن ، سنضم أشلاءه الممزقة فى قبر يليق به ، وسيشهد الطلاب — فى ملابس الحداد — مراسم دفنه الأليم ! (**يخرجون — وتدخل الجوقة**)

الجوقة : وها قد انكسر الفرع الذى كان ينبغى أن ينمو فى استقامة ، واحترق غصن الغار الذى كان ينمو فى داخل ذلك الرجل الأريب .. لقد مضى فاوست ، فلتنظروا إلى سقوطه ، ولتتأملوا مصيره الذى ينبغى أن يتدبره الحكماء ، **لا لشىء إلا ليستنكروا تلك النزعات المحرمة التى تغرى أصحاب المواهب النادرة بأن يمارسوا من الأعمال أكثر مما تسمح به السماء .**


EUGENE
ONEGIN
By
A.PUSHKIN
Я к вам пишу —
чего же боле?
Что я могу
еще сказать?
يوجين أونيجين
من روائع المسرح الغنائي
للشاعر الروسي الأشهر
الكسندر بوشكين

هــذه المأســاة ..

عزيزى القارئ ..

● فى الفصل التاسع من ملحمة « دكتور جيفاجو » ، التى قدمت لك ترجمتها الكاملة فى غير هذه السلسلة ، أشار « باسترناك » إلى مأساة « يوجين أونيجين » فى ثلاثة مواضع متلاحقة ، ضمن يوميات بطل الملحمة « يورى جيفاجو » .. ففى صفحة ـــــ (من المجلد الثانى) كتب فى يومياته : « وهكذا قرأنا مرارا وتكرار كـتب « الحرب والسلام » لتولستوى ، و « يوجين أونيجن » ، وغيرها من روائـع بوشكين .. » .

وفى صفحة ٤٣٦ ، كتب مرة أخرى : « .. سنظل نعاود قراءة « يوجين أونيجن » إلى ما لا نهاية .. » .

وفى صفحة ٤٤٣ ، كتب مرة ثالثة : « إن الفصل السابع مـن « يوجين أونيجن » يصف بيت « أونيجن » وقد بدا موحشا لغيابه ، وقبر « لينسكى » على ضفة الغدير ، عند أسفل التل ، والبلبل ـــ عاشق الربيع ـــ يغنى طيلة الليل .. والوردة البرية تتفتح .. إلخ » .

فما هى هـذه التراجيديا الخالـدة لبوشكين ، التـى أشاد بها « باسترناك » فى ثلاث إشارات متتابعة من « دكتور جيفاجو » ، والتى اقتبست منها أوبرا غنائية تمثل على مسارح العالم منذ عشرات السنين ؟

إليك قصتها ، ألخصها لك فيما يلى :

« ١ »

● **تبدأ**القصة فإذا نحن فى إحدى أمسيات الخريف الدافئة ، ذات عام فى أوائل القرن الماضى ، وقد جلست « مدام لاريتا » — وهى امرأة غنية من صاحبات الأراضى فى روسيا القديمة — فى حديقة منزلها الجميل ، منهمكة فى تقشير بعض الفاكهة .. ومن نوافذ البيت المفتوحة صافحت سمعها أنغام أغنية عذبة تغنيها ابنتاها الجميلتان « أولجا » و « تاتيانا » .. فامتلأ قلب الأم وهى تصغى إليهما بالذكريات الحلوة لأيام شبابها الباكر ، حين كانت تتغنى مثلهما بنفس هذه الأغنية !

وأقبل رهط من القرويين المرحين يحملون حزم الحنطة ويقدمونها إلى مدام لاريتا ، فقد كان اليوم آخر أيام الحصاد ، ومن ثم جاءوا يضعون [illegible]ـتهم التقليدية تحت قدمى ربة الضيعة المحبوبة .. فاستقبلتهم هى بالترحيب والعطف الكريم ، ودعتهم كى يغنوا ويرقصوا أمامها ، ويتناولوا من المشروبات المنعشة التى أمرت بأن تعد لهم .. فانخرط الشبان والفتيات فى رقصة ريفية فوق أرض الحديقة وراحوا يغنون أغنية الحصاد المرحة ، رغم التعب الذى كانوا يعانونه بعد مجهود العمل طيلة اليوم .. فلم تكد الفتاتان أولجا وتاتيانا تسمعانهم حتى خرجتا إلى الحديقة ووقفتا بجوار أمهما ترقبان الرقص والضحك والصخب بشغف ملحوظ ..

وكانت الفتاتان رغم جمال كليهما تختلفان الواحدة عن الأخرى أكبر الاختلاف : فالكبرى — أولجا — مرحة طائشة تحب اللهو والصخب

.. والثانية ــ تاتيانا ــ حالمة ، ولهى ، منطوية على نفسها ، لا تأبه كثيرا للهو الشباب المألوف ، بل تفضل عليه أن تقرأ كتابا فى عزلتها .. أو تحلم فى يقظتها !

وحين فرغ القرويون من رقصتهم ، اصطفوا من جديد تأهبا للانصراف من حضرة سيدتهم المضيافة .. وبعد لحظات من انصرافهم ، وقفت أمام الباب عربة فاخرة هبط منها شابان من نبلاء المنطقة المجاورة ، أحدهما « فلاديمير لينسكى » خطيب أولجا ، والآخر صديقه « يوجين أونيجن » ، الذى كان ما يزال مجهولا من جانب مدام لاريتا وابنتيها ، رغم امتلاكه أرضا فى نفس المنطقة ..

ولم تكد تاتيانا الخجول الحيية تلمح الشاب الغريب حتى تحركت تريد الانسحاب من المكان ، لولا أن أمها احتجزتها .. وبعد برهة أقبل لينسكى يحيى النساء الثلاث ويقدم لهن صديقه .

وكان أونيجن شابا أنيقا ذا شخصية جذابة وخبرة بالحياة ، فلم تكد تاتيانا ترمقه بنظراتها المختلسة ، فى خجل ، حتى جذبها مظهره ، فأحست أنه الصورة الحية لفتى أحلامها !.. وشعر أونيجن بدوره بميل نحو الفتاة الهادئة المنطوية التى تلائم مزاجه أكثر من أختها الضاحكة الصاخبة .. وهكذا لم تمض برهة حتى اشتبك الاثنان فى الحديث ، ثم انصرفا عن المكان ليقوما بجولة فى أرجاء الحديقة .. تاركين لينسكى وخطيبته يشيدان قصور الأمانى العذبة فى خلوة كاملة ..

وحين ارتفع صوت الأم تنادى الفريقين إلى داخل البيت لتناول العشاء ، لبى الخطيبان دعوتها أولا ، **ثم مرقت تاتيانا وأونيجن من**

ظلام الحديقة فى أعقابهما وهما منهمكان فى الحديث ما يزالان .. وكانت تاتيانا ـــ برغم خجلها الفطرى ـــ قد وجدت متعة فى رفقة يوجين ، الذى فتنها بشخصيته إلى أقصى حد ، وإن كان حديثه قد أظهره فى صورة الساخر الذى مل الحياة وكفر بأخلاق البشر ..

وهكذا رقص قلب تاتيانا بين ضلوعها منتشيا بشمل غريب لا يقاوم ، وازدادت عاطفتها المتأججة حدة وعنفا كلما تقدم المساء ، فلما أوت إلى مخدعها آخر الأمر كان انفعالها أشد وأقوى من أن تستطيع قمعه !.. وأحست مربيتها العجوز « فيلبينا » بما يعتمل فى أعماق العذراء الغريرة ، فحاولت أن تهدئ من انفعالها جهد طاقتها ، لكن مهمتها كانت أعسر مما حسبت .. بل لقد أصرت الفتاة على أن تروى لها فيلبينا تجاربها الغرامية الخاصة ، وأبت أن تحول أفكارها عن هذا الموضوع الشائق !.. ورغم ذلك فعندما رضخت المربية العجوز لإلحاح تاتيانا ، لم تصغ هذه إلى قصتها إلا لحظات ، ثم شردت فى وديانها الخاصة وراء عواطفها المتضاربة ، حتى فرغت فيليبينا من روايتها فطلبت إليها الفتاة أن تحضر لها أدوات الكتابة ثم تتركها لشأنها ..!

وفعلت المربية ما طلبته منها تاتيانا ، ثم طبعت على جبينها فى حنان قبلة المساء وغادرت الغرفة ، وهى تأمل أن يقوى النعاس والأحلام على إعادة الفتاة الغريرة إلى هدوئها المألوف فى الصباح ..

لكن النعاس كان أبعد الأمور عن ذهن تاتيانا المبلبل .. فإنها حين عجزت عن قمع عاطفتها المضطربة ، اعتزمت أن تكتب خطابا إلى يوجين أونيجن ، تبوح له فيه بحبها العميق الذى باتت تكنه له .. وتسأله

أن يمنحها الفرصة كى تلقاه على انفراد فى الأرض المجاورة فى اليوم التالى !.. وقد ظلت المسكينة وقتا طويلا ـ أثناء كتابة الخطاب ـ نهبا للأفكار المتضاربة والصراع العنيف العقيم ، بين حياء العذراء وإجفالها الفطرى ، وبين حبها الوليد وشوقها القوى إلى أن يبادلها الشاب إياه !.. لكن عاطفتها تغلبت فى النهاية على شتى مشاعرها الأخرى ، فتناولت القلم وشرعت تكتب ..

ولكنها ـ حتى بعد أن قر قرارها على المصارحة ـ لم تلبث أن تبينت أن صياغة أفكارها المحمومة على الورق ليست بالمهمة السهلة ، وإنما هى مهمة عسيرة جدا .. فمزقت أكثر من ورقة وبذلت أكثر من محاولة ، حتى تم لها ما أرادت ..

.. والليل يزحف على مهل ، وتاتيانا غير ملقية بالا إلى انصرام ساعاته .. حتى بدت فى الأفق تباشير الفجر ، وعندئذ فقط تنبهت الحالمة ، فختمت الخطاب أخيرا ، ووضعته بيد مرتجفة فى ظرف معد لإرساله ..

وكان الخطاب صورة دقيقة لنزعة الفتاة الفطرية ، ينضح كل سطر منه بالسذاجة العذبة التى أوحت بكتابته .. بل كان بمثابة تدفق غير متكلف لطبيعة كريمة سمحة .. أما عمق وعنف العاطفة التى وشى بها فقد كان برهانا على قيمة الهبة التى تجود بها صاحبته : القلب النقى لعذراء !

وعندما أقبلت فيلبينا لتوقظ الفتاة فى البكور ، وجدتها ما تزال جالسة إلى النافذة المفتوحة .. وتوسلت إليها تاتيانا أن تتكفل بإيصال الخطاب إلى يوجين دون إبطاء .. فترددت المربية فى البداية ، وعنفتها على قضائها الليل

بأكمله ساهرة على هذا النحو ، لكنها حين أدركت أن الصبية ما تزال تعانى انفعال الأمس ، لم تجد بدا من أن تجاريها .. فأخذت الخطاب واعدة بتسليمه إلى صاحبه فورا ..

لكن تاتيانا حين انفردت بنفسها دفنت وجهها بين راحتيها وقد أدركها شيء من الشعور بالندم على إرسال الخطاب ، والتساؤل عما إذا كان يوجين سوف يمنحها اللقاء الذى طلبته ؟.. فإذا هى تارة تأمل أن يقبل دعوتها الحارة ، وتارة تصلى من أجل رفضها !

« ٢ »

● وتقدم النهار .. واقترب الموعد الذى ضربته ليوجين .. فحزمت شجاعتها واتجهت إلى مكان اللقاء .. يتناهب قلبها الشك والشوق ، وترتعد أوصالها رعبا من نتيجة المقابلة ، وخوفا من أن يقابل حبها بالسخرية والصد .. وإن ملأ قلبها فى الوقت ذاته خوف مماثل خجول من أن يقابل حبها بالوصال .

.. فلما أقبل أونيجن فى الموعد المرتقب ، تبخرت شجاعة الفتاة الضئيلة المدخرة ، فى مثل طرفة العين .. وتركتها ترتعش فى حضرة الرجل الذى أحبته بكل ذلك العنف ، بحيث لو لم يطلب إليها فى لهجته الآمرة أن تبقى ، لكانت قنعت من الغنيمة بالفرار !

.. واقترب الشاب من الفتاة المنفعلة ، قائلا إنه قد استلم رسالتها ، وقرأها بامعان .. وما دامت قد اختارت أن تكون صريحة معه ، فليكن هو بدوره صريحا معها ..

ثم مضى فى حديثه فاعترف لها — فى نبرات خالية من الحرارة ، وإن خالطها الأسف — بأنه قد خبر الحياة حتى ملها ، فلم يعد فى حال تسمح له بأن يتقبل منها هذا الحب النقى الناشئ الذى تعرضه عليه .. فضلا عن أنه ليس بالشخص الذى يستحق مثل هذه الهبة الكريمة ، ولا هو بالذى يملك أن يقدم إليها مقابلا لهذه الهبة أو بديلا !

أنصتت تاتيانا وهو ترتجف إلى هذه العبارات الباردة الصريحة ، فأحست كأن كل عبارة منها هى طعنة تسدد إلى قلبها ... وتملكها شعور قوى بالعار والخجل ، سحقها سحقا !

أما أونيجن ، فرغم أسفه من أجل الألم الذى جرع الفتاة كأسه المريرة ، والخيبة التى أصاب بها قلبها الحالم .. فقد رجاها فى لهجة أكثر تأنيبا من ذى قبل ، أن تقمع مشاعرها وتكون أكثر تحفظا فى المستقبل ، خشية أن تجود بعاطفتها على رجل يكون أقل منه التزاما لحكم ضميره ، فيقابل اندفاعها باستهتار ، وعدم مبالاة !



« أنصتت تاتيانا وهى ترتجف إلى هذه العبارات .. »

ثم تناول يوجين يد الفتاة ، وقادها فى رفق وملاطفة إلى بيتها !

« ٣ »

● **وانقضت** أسابيع ..

وذات مساء أقامت مدام لارينا سهرة راقصة احتفالا بعيد ميلاد تاتيانا « الثامن عشر » .. وكان بين من دعتهم « لينسكى » وصديقه يوجين أونيجن . ورغم روعة الحفلة وتعدد وسائل اللهو فيها ، وازدحامها بصفوة منتقاة من علية القوم فقد ضاق يوجين صدرا بها ، وإن قضى أكثر وقته خلالها بصحبة تاتيانا ، التى كانت طبيعتها الحالمة ما تزال تستميله إليها .. أما الفتاة فقد ظلت طيلة الوقت صامتة ، تخفى قلقها المكتوم ، حتى تبين هو حيرتها وحرج موقفها ، فتركها لأفكارها !

لكن شعوره بالمضايقة تزايد ، إلى حد أحنقه على صديقه لينسكى الذى أغراه بحضور الحفلة .. فلما سنحت له فرصة لشفاء غليله من صاحبه سارع بانتهازها .. فقد لمح خطيبة لينسكى الحسناء الضاحكة « أولجا » بالقرب منه ، فدعاها لمراقصته عدة رقصات متتالية ، ومن بينها رقصة نصف الليل التى كانت قد وعدت بها خطيبها !

وصادفت الدعوى هوى من نفس المعابثة الجريئة بطبعها ، فقبلتها مرحبة .. الأمر الذى ملأ قلب خطيبها استياء وغيرة ، سيما وأنه كان يخصها بحبه النارى الذى لا يقبل أن يقاسمه إياه أى شريك !

وهكذا جعل لينسكى يرقب ــ واجما ــ خطيبته وصديقه وهما يزوغان بين الكتل المتراصة من أجسام الراقصين ، بل ويلحظ بغضب متزايد تلك النظرات الماكرة التى جعلت أولجا ترمق بها مراقصها

الوسيم وهى تعابثه .. فلما انتهت الرقصة عجز عن مغالبة شعور الحقد الذى اشتعل فى قلبه ، فاتهم صديقه يوجين أمام الملأ بأنه يحاول أن يسلبه حب خطيبته .. ثم تحداه علانية أن يبارزه فى اليوم التالى !

وقد حاول أونيجن فى البداية أن يحمل الأمر على محمل المزاح ، مؤكدا أنه لم يفكر ألبتة فى الاعتداء على كرامة صديقه أو شرفه .. أما أولجا ، التى ذعرت وأدركها الندم على تصرفها المستهتر الذى يوشك أن يؤدى إلى أخطر النتائج ، فقد توسلت إلى خطيبها بدورها أن يهدئ من ثائرته ويعتبر الأمر كأن لم يكن ..

لكن غيرة لينسكى الحمقاء لا تخضع لحكم العقل ، فيتمادى فى صب جام غضبه وإهاناته على أونيجن .. إلى الحد الذى يخرج هذا عن طوره ويفقده السيطرة على نفسه فيعلن غاضبا أنه قبل التحدى والمبارزة !

وأمام هذه النتيجة التعسة ، يستولى على المدعوين الانزعاج والذعر ، فيشرعون فى الانصراف جماعات .. وهكذا ينفض المرقص الذى بدا بهيجا ، فى جو من الاضطراب والكآبة ..

وفى الصباح الباكر من اليوم التالى يلتقى لينسكى ويوجين مع شهودهما فى بقعة منعزلة من المنطقة .. وهناك تتم المبارزة ، بعد اتخاذ إجراءات الفروسية التقليدية ، وقد أحس كلا الصديقين بالأسف على مصير الصداقة الطويلة السعيدة التى ختمت على هذا النحو الرهيب .. بل ود كلاهما لو نطق بالعبارة التى ترضى كرامة صديقه وتفض النزاع .. لكن الكبرياء أخرس لسانيهما .. فلما أعطيت الإشارة ، رفع كلاهما غدارته .. وأطلق النار بغير إبطاء !

وفى اللحظة التالية سقط لينسكى على الأرض بلا حراك ، فلما جرى نحوه يوجين — الذى لم يمس بسوء — مع أتباعه وشهوده ، ورفع رأس صديقه بين ذراعيه ، تبين والفزع يقبض قلبه ، إن الشاب ذا الطبع النارى قد .. مات !

ملأ الأسى قلبه ، وفاض .. واستبد به الندم والحزن وتبكيت الضمير .. وتحت ضغط القلق النفسى ، والتعاسة المدمرة ، غادر أونيجن الإقليم فورا .. وعاش يتخبط ويتنقل من قطر إلى قطر ، بضع سنوات ، دون أن يستقر له قرار فى أى منها ، محاولا أن يغرق فى التجوال همه المقيم ، وذكرياته التى تملأ رأسه وتطارده كالأشباح ..

« ٤ »

● **ولكن** لا تغيير الجو والمكان ، ولا المغامرات الفاجرة المتنوعة ، تفلح فى إعادة السكينة والراحة إلى قلب يوجين !

.. وأخيرا ، وتحت تأثير الشوق الذى لا يقاوم إلى العودة مرة أخرى إلى مسرح المأساة ، يشد التعس رحاله إلى وطنه .. فلا يبلغ العاصمة « سانت بطرسبرج » حتى يتقاطر عليه أصدقاؤه القدامى ويقنعوه بالبقاء بين ظهرانيهم بضعة أسابيع .. ثم يتلقى دعوة إلى مرقص فاخر يقيمه نبيل رفيع المقام يدعى الأمير « جريمين » ، فيقبلها تحت ضغط أصدقائه وإغرائهم ..

.. وفى مساء يوم الحفلة يمضى إليها ، غير ملهوف .. وفعلا يعجز

جوها المرح الصاخب عن إدخال السرور والبهجة إلى قلبه الممـزق الكليل ..

وفيما هو يطوف بغرف القصر حائرا ، قلقا ، لا تفتأ ذكرى المبارزة المشؤومة تعاوده بكل دقائقها ، وتلح على خاطره .. وأفكاره المبلبلة تنحى عليه باللائمة ، وتطارده بالاتهام فى عنف وحدة ..

ثم يلحظ حركة غير عادية بين المدعوين ، وغمغمة وهمسات تفيض بالإعجاب .. فيوجه بصره إلى حيث اتجهت أبصارهم ، وإذا هى مركزة على حسناء رائعة ترتدى ثوبا فاخرا وتتحلى بثروة من الجواهر الثمينة الباهرة ، تمرق بين حلقات الضيوف فى خفة وجلال ، وتوزع ابتساماتها وتحياتها الوقورة عليهم برشاقة أخاذة ..

ولا يحتاج أونيجن إلى أكثر من نظرة ثانية فاحصة ، كى يتبين فى الحسناء ربة الدار .. عذراء الماضى الحالمة « تاتيانا » !

لكن تاتيانا قد تغيرت .. لم تعد صبية حالمة ، سابحة فى خيالها ، وإنما صارت امرأة ناضجة ، تفيض الفتنة من موطئ قدميها ، وتبدو كالملكة بين هذا الحشد من الحسان والغيد ..

نعم ، إنها تاتيانا بعينها .. أخذت من بيتها الريفى الهادئ إلى حيث أصبحت الزوجة المحبوبة للأمير « جريمين » الذى يوليها ، رغم فارق السن الكبير بينهما ، حبا يقرب من العبادة .. ولا يدخر وسعا فى سبيل إسعادها وجعل حياتها فى كنفه موفورة الهناء والرفاهية ..

أما هى ، فبرغم عجزها عن أن تمنحه حبها وقلبها ، صارت له مثال الزوجة المخلصة التى تكرس حياتها لراحته .. بل أخذت على عاتقها عبء



« .. ويرمق أونيجن تاتيانا بنظرة أخرى ، فيحس نحوها بميل مضاعف .. »

مسئوليات مركزها الاجتماعى الجديد ، بكفاءة ووقار يتزايدان كل يوم !

.. ويرمق أونيجن تاتيانا بنظرة أخرى ، فيحس نحوها بميل مضاعف ، بعد أن نضج جمالها واكتملت لجسمها وعقلها أسباب الفتنة والجاذبية .. فينبض لها قلبه فجأة بإحساس جديد غريب ، لعله النشوة .. أو لعله الشهوة !.. ويتملكه — وهو الذى حسب عهده بالانفعالات العاطفية قد انتهى — فرح دافق يضاعف من سرعة نبضات قلبه ، ويتخطف كيانه كتيار كهربائى مباغت !

ويتزايد انفعاله حين يقبل عليه الأمير « جريمين » فيقدم له زوجته الحسناء الرائعة فى زهو واعتزاز .. ورغم أن تاتيانا تلقاه بفتور وهدوء ، أقرب إلى البرود ، دون أن تكلف نفسها مشقة إخفاء صلة الجوار القديمة بينهما فإن سمة العاطفة المكبوتة التى تبدو فى عينيها العميقتين الرقيقتين تشى فى وضوح بأن حبها له لم ينطفئ ، وإنما هو جذوة كامنة تحت رماد السنين لا ينقصها غير الأنفاس الحارة ، لكى تشعلها من جديد .. بل لعل هذا الحب القديم قد عمقت جذوره فى نفسها بعد نضوج أنوثتها !

وفيما هى تبتعد عنه ، متعلقة بذراع زوجها ، يحس أونيجن بقبضة الغيرة الحادة القوية تعصر قلبه بشدة ، ربما لأول مرة فى حياته !.. ويتبين أنه يحب هذه المرأة بكل طاقة وجدانه !

ويعجز يوجين عن كظم عاطفته المتأججة العاتية ، فيعتزم أن يبوح لتاتيانا بحبه ، بأى ثمن !.. وهكذا يمضى فيربض فى ركن قصى ، فى انتظار مرورها .. فلا تكاد تمر به حتى يبرز لها من مكمنه والانفعال يهز كيانه كله ، ويصارحها بعاطفته الجارفة ، مناشدا إياها أن تبادله إياها فيستردا سعادتهما التى فرط فيها بغبائه فى الماضى !

أما هى فتنتهز الفرصة كى تذكره فى مرارة بما صدر منه ، وكيف صد حبها القديم ناظرا إلى الأمر كنزوة طارئة من صبية حالمة ، بل وعمد إلى تأنيبها بشدة على اندفاعها وراء عواطفها بدون روية ..

وتطعن عباراتها فؤاد يوجين ، فيجثو على ركبتيه ويتوسل إليها بانفعال متزايد أن تغفر له ما بدر منه ، وتمنحه حبها الذى يتوق الآن أكثر من أية أمنية أخرى فى حياته !

وأمام حرارة توسلاته ودموعه ، وعنف انفعاله ، تعجز المرأة عن الصمود .. وعن مواصلة التظاهر بالفتور نحوه .. فتعترف له فى انفعال مماثل بأن حبها له لم يزل كالعهد به قويا جارفا ، وتملأ قلبها فرحة محمومة لمجرد التفكير فى أن حبها المرفوض قد بلغ غايته أخيرا ، وصار متبادلا !

ويناشدها يوجين فى حمى نشوتهما الدافقة أن تفر معه ، كى يبدآ حياتهما السعيدة المشتركة فى كنف حبهما العظيم الذى لم يعد يجدى إنكاره أو تجاهله .. لكن جرأة الفكرة ترد للمرأة صوابها الذى زلزلته

المفاجأة ، فتنهى إلى يوجين عزمها على البقاء وفية لزوجها ، مهما كلفها رفض توسلات حبيبها من ألم مرير !

ورغم ذلك لا يقنط يوجين ، فيواصل ابتهاله الحار إلى حبيبته أن تطيع نداء قلبها الشاب .. لكن تاتيانا تصمد — وإن يكن بصعوبة — للإغراء الذى يكلفها أكثر من طاقتها على الاحتمال ، فترفض فى حزم ما يعرضه عليها أونيجن !.. وخوفا من أن يخور عزمها لو طال بقاؤها معه ، تعمد إلى التخلص من قبضته وتهرع مبتعدة عنه ، بعد أن ترمقه بنظرة وداع أخيرة .. تمزقها الحسرات !

وعندئذ .. وقد ملأ اليأس قلب أونيجن ، وأيقن أن السعادة التى طالما اشتاق إليها قد حرمت عليه إلى الأبد .. يخرج مسدسه من جيبه ويسدده إلى صدره !

وفى اللحظة التالية يسمع دوى رصاصة ، ويخر يوجين على الأرض .. فاقد الحياة !

* * *



نيكراسوف

المسرحية التى تكشف تضليل الصحافة الفرنسية للشعب الفرنسى !

لعميد الفلسفة الوجودية "جان بول سارتر"

هذه المسرحية الساخرة ..

● هى آخر مسرحيات « جان بول سارتر » ، التى يسخر فيها من الصحافة الفرنسية والأساليب التى تتبعها فى تقديم الأخبار لقرائها . أما المجنى عليه فى هذه المهزلة .. أما الذى يدفع الثمن وهو غافل ، فهو الرأى العام ، أو قراء الصحف الفرنسية ! ولا عجب فى الأمر .. فإن الفساد لم يترك ناحية فى فرنسا — سواء أكانت عامة أو خاصة — إلا وتسلل إليها .. لا ، بل إنه كثيرا ما يجد الأبواب مفتوحة أمامه ، فلا يحتاج إلى حذر أو تسلل ، بفضل « سماحة »أولاد السين واللوار والجارون ، و « تمدينهم » الذى فاق كل الحدود !!

وها هو ذا فيلسوفهم الوجودى يكشف الغطاء عن نوع جديد من الفساد الفرنسى ، فى المسرحية الساخرة التى أقدمها فيما يلى :

الفصل الأول

● تبدأ القصة فى دار إحدى الصحف الحكومية التى تناصر أحزاب اليمين فى فرنسا . ورئيس تحرير هذه الجريدة يفاخر بأن جزيدته تناصر جميع هذه الأحزاب وتؤيد جميع الحكومات .. وما دامت سياسة الحكومة القائمة هى محاربة الشيوعية ، فإن جريدته تشترك أيضا فى هذه الحرب ضد الشيوعية !

ويتصفح رئيس التحرير العدد الأخير الذى صدر من الجريدة

فيكتشف أن محررا من محرريه قد نشر صورة لامرأة روسية ، وكتب تحت الصورة العبارة التالية :

« إن المرأة الروسية ترتدى حذاء .. وهى باسمة الثغر ! » .

ويثور رئيس التحرير لنشر هذه الصورة ، ويأمر باستدعاء المحرر الذى نشرها . ويبدأ فى استجوابه ، فيقول له :



— كيف تقول إن المرأة الروسية ترتدى حذاء ؟!.. كان يجب أن تذكر أن النساء فى روسيا يسرن حافيات الأقدام !

المحرر : ولكنها ترتدى حذاء بالفعل !

رئيس التحرير : كان من الممكن أن تقطع قدمى صاحبة الصورة حتى لا تذكر أن النساء فى روسيا يرتدين أحذية !

المحرر : وهل كان من الممكن أيضا أن أقطع رأسها حتى لا أقول إنها باسمة الثغر ؟!

ولم يقنع رئيس التحرير بهذه الإجابات ، فقرر أن يجمع مجلس الإدارة للنظر فى الموضوع الخطير .. موضوع المحرر الذى يدعو للشيوعية فى هذه الصحيفة ، إذ يقول إن المرأة الروسية ترتدى حذاء وإنها باسمة الثغر !.. سوف تغضب الحكومة كلها ، وسوف تصب جام غضبها على الجريدة !

فإذا اجتمع مجلس إدارة الجريدة ، أدرك هو الآخر خطورة الموقف ، وعرف أنه لابد من اتخاذ قرار حاسم . وينتهى الأمر باستدعاء المحرر

المسكين الذى ذكر أن المرأة الروسية تنتعل حذاء وأنها باسمة الثغر ..
ويهدده رئيس التحرير تهديدا حاسما : **فإما أن يأتى للجريدة بخبر صحفى من النوع الذى يعد فى مرتبة « السبق الصحفى » ، وإما أن يفصل من وظيفته .. ولكن الشرط الهام فى هذا السبق الصحفى ، هو أن يتضمن خبرا ضد الشيوعية ، حتى ترضى الحكومة عن الجريدة ، وتغفر لها ما سبق أن نشرته من دعاية شيوعية سافرة ، عندما ذكرت أن المرأة الشيوعية تنتعل حذاء وأنها باسمة الثغر !**

ويمنح الصحفى المسكين مهلة لا تزيد على أربع وعشرين ساعة .. فإما الخبر الذى يناهض الشيوعية ، وإما الطرد من الوظيفة !

الفصل الثانى

● **ويعود** الصحفى إلى منزله حزينا ، مكتئبا ، يائسا .. إنه يعرف أن رئيس التحرير ، ومجلس الإدارة ، قد طلبا منه شيئا يكاد يكون فى حكم المستحيل ، ومعنى هذا أنه سيفقد وظيفته ، إذ من أين له أن يأتى بسبق صحفى مناهض للشيوعية ؟!.. إن وسائله محدودة ، وهو يعيش فى فرنسا ، وليس فى روسيا ، حتى يتوصل إلى خبر مناهض للشيوعية !

وتراه ابنته وهو على هذه الحال ، فتسأله عما به ، فإذا أفصح لها ، وروى ما وقع له فى عمله مع رئيس التحرير ومجلس إدارة الجريدة التى يعمل بها ، ارتفع صوتها بالضحك الذى يكاد يبلغ حد القهقهة !

ويغضب الوالد لأن ابنته تسخر منه ، ثم يقول لها :

ـ إنك تسخرين لأنك شيوعية ، ولذلك لا يهمك ما يحدث لوالدك !

ولا تدفع الابنة عن نفسها هذه التهمة ، وتقول له إن ما يذيعه عن شيوعيتها ليس سرا ، وإنها مع ذلك على استعداد لمساعدته وإخراجه من الورطة التي وقع فيها . فيعرض عليها الوالد أن يتبادلا الأسرار فتدلى إليه بما لديها من أسرار الشيوعية ويدلى إليها هو بأسرار الرأسمالية .. ولكن الفتاة ترفض هذا العرض !

وتعترف الفتاة لوالدها بأنها تخفى فى حجرتها لصا يبحث عنه البوليس ، فما أن يسمع الرجل ذلك حتى يصاب بذعر شديد ، ويهم بإبلاغ الأمر للبوليس خوفا من المسئولية . وتحاول الفتاة أن تثنيه عن عزمه ، فتقول له إن اللص سيغادر المنزل بعد أن تهدأ الحال ، ولكن الأب لا يقتنع بذلك ويصر على إبلاغ الأمر للبوليس . وفى أثناء هذه المناقشة ، يخرج اللص من مخبئه ويشترك مع الفتاة فى إقناع والدها بعدم إبلاغ الأمر للبوليس . ويعترف له خلال الحديث بأنه سمع كل شيء يتعلق بالأزمة التى يعانيها الصحفى ، ويعرض عليه أن يساعده للخروج من هذه الأزمة ..

ويستمع إليه الصحفى فى إصغاء تام .. فقد خيل إليه أن هذا هو الرجل الذى يملك أن ينقذه من الأزمة التى يمر بها . ويعرض اللص الحل المناسب ، وهو يتلخص فى أن ينشر الصحفى فى جريدته ، فى اليوم التالى ، أن اللص الهارب الذى يبحث عنه البوليس الفرنسى هو « نيكراسوف » ، وزير الداخلية الروسى الذى لجأ إلى فرنسا ، وأن هذا

هو سر اهتمام البوليس بالبحث عنه ! وقد سبق للصحف أن نشرت نبأ هرب شخص من روسيا اسمه « نيكراسوف » ، ولذلك فمن السهل أن يصدقوا أن اللص هو وزير داخلية روسيا بالفعل ، وأنه جاء إلى فرنسا لينشر مذكراته التى يفضح بها الشيوعية وأساليبها ، كما فعل « كرافتشينكو » عندما نشر فى أمريكا كتابه المشهور « اخترت الحرية » !

الفصل الثالث

● وتروق الفكرة التى يعرضها اللص للصحفى .. فلا شك فى أنه سينال رضاء رئيس التحرير ، إذا جاءه بالسبق الصحفى الرائع عن وجود « نيكراسوف » كلاجىء سياسى فى فرنسا ، ولا شك أن رئيس التحرير سينال بدوره رضاء مجلس إدارة الجريدة بعد نشر هذا السبق الصحفى الكبير !

ويسرع الصحفى بالنبأ الكبير إلى جريدته :

« نيكراسوف يهرب من روسيا ويلجأ إلى فرنسا »

ويسعد رئيس التحرير بهذا السبق الذى سيهز الدوائر الصحفية والسياسية كلها .. ولكنه يريد أن يتأكد من صحة الخبر ، فيطالب المحرر بأن يريه « نيكراسوف » رأى العين ، حتى يصدق أن الخبر حقيقى بالفعل !

ويقبل الصحفى ذلك عن طيب خاطر ، ويذهب إلى منزله لكى يأتى بنيكراسوف « المزيف » ، فلا يمانع هذا فى زيارة دار الجريدة ومقابلة رئيس التحرير وتمثيل دور « نيكراسوف » الحقيقى !

وكما سعد رئيس التحرير بخبر « نيكراسوف » ، فإنه يزداد سعادة بلقائه ، بل إنه يفاوضه فى شراء مذكراته وطبعها ونشرها فى فرنسا ، لتحدث ضجة كتلك التى أحدثها مؤلف « اخترت الحرية » .. ولا يمانع « نيكراسوف » فى ذلك ألبتة ، بل إنه يرحب به ، ولكنه يشترط على الجريدة فى مقابل ذلك أن تدفع له أجر إقامته فى فندق من فنادق باريس الفاخرة الغالية الأسعار ، كما يشترط أن تكون له « حرية الطعام والشراب » فى ذلك الفندق !

ويقبل رئيس التحرير هذه الشروط كلها ، ثم يدعو « نيكراسوف » إلى مقابلة أعضاء مجلس إدارة الجريدة ، الذين كانوا يتلهفون إلى لقائه بعد أن سمعوا خبر وصوله إلى جريدتهم ..

ويرحب أعضاء مجلس الإدارة بدورهم بنيكراسوف ، كما رحب به من قبل رئيس التحرير .. بل إنهم يتهافتون — كل بدوره — على سؤاله عن سياسة روسيا وماذا تبيت لفرنسا !

ويتمهل « نيكراسوف » فى الإجابة عن هذا السؤال .. فإنه بلا شك يتعلق بأسرار السياسة العليا لقادة الشيوعية ، ولكنهم يلحون عليه ، فيقول لهم : « **إن روسيا كانت تنوى احتلال فرنسا ، وقد أعدت كشفا سريا بالزعماء الذين سيعدمون رميا بالرصاص بعد احتلال العاصمة الفرنسية !** » .

ويتظاهر نيكراسوف بأنه وإن كان على علم بالأسماء المذكورة فى هذا الكشف إلا أنه لا يمكن أن يبوح بها !

ويزداد إلحاح أعضاء مجلس الإدارة على نيكراسوف .. فهم شديدو الرغبة فى معرفة الأسماء التى تتضمنها القائمة السوداء التى أعدها الروس !.. حتى إذا ضيقوا عليه الخناق ، بدأ يتطلع فى وجوههم واحدا بعد الآخر ، ويسأل كل واحد عن اسمه .. ثم يتبسم بعد أن يسمع كل اسم ، ويقول لصاحبه :

ـ نعم .. نعم .. كان اسمك بينهم !

واحد فقط من بينهم نظر إليه « نيكراسوف » مليا ، ثم هز رأسه بعد أن سمع اسمه وقال له :

ـ كلا .. لم يكن اسمك فى القائمة السوداء !

وكان هذا الشخص هو .. رئيس تحرير الجريدة !

ويضطرب مجلس الإدارة كله لهذا النبأ الغريب ، فإن عدم وجود اسم رئيس التحرير فى قائمة الزعماء الذين كان الشيوعيون قد قرروا إعدامهم بعد احتلال فرنسا ، يدل على أنه كان جاسوسا للشيوعيين ، وإنه كان متصلا بهم دون شك !.. وعلى هذا فلابد من فصله من وظيفته .

ويصدر القرار بالإجماع .. إجماع أعضاء مجلس الإدارة الذين كانت أسماؤهم فى القائمة السوداء !

الفصــل الــرابع

● **وهكـذا** يطرد رئيس التحرير من وظيفته ، بعد أن أيقن أعضاء مجلس الإدارة أنه يسارى المبادئ ، وإلا لما عفا عنه الروس وأغفلوا إدراج إسمه فى قائمة المحكوم عليهم بالإعدام بعد احتلال فرنسا !.. ولكن رئيس التحرير المطرود لا يقبل الهزيمة بهذه السهولة .. فإنه يعرف جيدا أنه هو الذى دبر كل شىء ، وجر على نفسه هذا البلاء ، عندما هدد المحرر المسكين بالطرد إذا لم يوفق إلى « سبق صحفى » يـفضح أسالـيب الشيوعية !

ولكن من هو « نيكراسوف » الذى آمن به أعضاء مجلس الإدارة ؟ وما هى حقيقة شخصيته ؟.. أهو حقا وزير داخلية روسيا الهارب ، أم أنه ممثل بارع أتقن تمثيل دوره ؟ وإذا كان ممثلا ، فمن يكون هذا الممثل ، وما حقيقة شخصيته ؟

هذه هى الأسئلة التى يحاول رئيس التحرير أن يعثر على إجابات عنها .. وهو يعرف أنه بغير ذلك لا يستطيع أن يعود إلى عمله أو أن يسترد وظيفته .. ومن هنا تبدأ مهمة دقيقة أمام رئيس التحرير ، هى مهمة اكتشاف حقيقة « نيكراسوف » !

فيلجأ إلى المحرر الذى اكتشف « نيكراسوف » .. إذ أنه ولا شك أعرف الناس بحقيقته . ويعتـرف المحرر لرئـيس التحريـر بشخصيـة نيكراسوف ، وبأنه ليس إلا « بول جيراد » أذكى لص حير رجال

البوليس السرى فى فرنسا !

ويسرع رئيس التحرير إلى البوليس السياسى الفرنسى ليبلغه جلية الأمر ويكشف عن الحقيقة ، وهو يصارح رئيس هذ البوليس بأن « نيكراسوف » وزير داخلية روسيا لم يهرب ، ولم يلجأ إلى فرنسا كما زعمت الجريدة التى نشرت الخبر ونقلت عنها الصحف الأخرى !

ولكن هذه الحقيقة — مهما تكن قيمتها — لا تسر رجال البوليس السياسى كثيرا ، ورئيسه يسأل رئيس التحرير فى شىء من الضيق : « إذن فمن يكون هذا الشخص الهارب أو اللاجئ الذى تقمص شخصية نيكراسوف ؟ » .

— إنه ليس إلا بول جيراد .. اللص الخطير الذى تبحثون عنه فى كل مكان !

ويشتد الحرج برئيس البوليس ، فليس من شك فى أنه وجهازه البوليسى بأسره سيغدون أضحوكة الناس ومادة تفكههم وتندرهم ، لو أن الحقيقة انكشفت على هذا الوضع ، وأدرك القوم أن « نيكراسوف » لم يكن سوى « بول جيراد » اللص الخطير الذى غرر بالبوليس وخدعه !

ولذلك يصر رئيس البوليس على أن نيكراسوف هو « نيكراسوف » .. وأن نيكراسوف الذى ظهر كلاجئ سياسى فى باريس هو نيكراسوف وزير داخلية روسيا بعينه .

ولينفلق رئيس التحرير ، أو فليضرب رأسه فى الحائط .. فنيكراسوف هو نيكراسوف !

الفصــل الخـامس

● **ولكن** رئيس التحرير لا يتسرب اليأس إلى قلبه !.. وإذا كان البولس قد خذله ، فإن الصحافة لا يمكن أن تخذله !.. ومن ثم يتجه إلى جريدتـه ، ويـكشف للمسئـولين فيها عـن حقيقــة شخصيــة « نيكراسوف » ، ويطالبهم بإعلان ذلك فى عدد اليوم التالى بأحرف كبيرة وفى الصفحة الأولى !

ولكن المسئول عن التحرير يهز رأسه آسفا .. لأنه لا يستطيع أن يلبى هذا الطلب !

ولماذا ؟.. لأن وزارة الداخلية أصدرت تعليماتها المشددة لكافة الصحف بعدم تكذيب خبر هرب « نيكراسوف » من روسيا ، أو الإشارة إلى أن نيكراسوف ، اللاجئ فى فرنسا ، ليس فى الحقيقة الأمر إلا اللص بول جيراد !

وأخيرا ، يضطر بول جيراد ــ اللص ــ إلى الظهور بنفسه ، لينقذ الموقف . وهو يصيح فى المسئولين عن تحرير الجريدة :

ــ هأنـدا .. إننـى بـول جيراد ، ولست نيكـراسوف ، فمــاذا تريدون ؟!

ويعقد اتفاق بين الأطراف الثلاثة : البوليس السياسى ، والجريدة ، واللص بول جيراد .. حتى تحل الأزمة : فالناس جميعا قد سمعوا وصدقوا أن نيكراسوف قد هرب من روسيا ، وإنه لجأ إلى فرنسا .. ولن يصدق

أحد بعد ذلك أن القصة كاذبة أو مخترعة ، كما أن نشر هذا ليس فى مصلحة أحد .. وليس فى مصلحة الدعاية المضادة للشيوعية !.. وإذن ، فليختف اللص بول جيراد من جديد ، أو فليختف نيكراسوف فجأة كما ظهر فجأة !

وتعليل اختفائه بسيط جدا فى نظر البوليس ، وسوف يصدق الجمهور هذا التعليل : **فليصدر بلاغ رسمى من وزارة الداخلية بأن الشيوعيين قد دبروا مؤامرة محبوكة الأطراف ، وأنهم تمكنوا من اختطاف نيكراسوف ، ونقلوه بعد ذلك إلى مكان مجهول !**

أما الجريدة ، ففى وسعها أن تعلن أنها تمكنت ، قبل اختفاء نيكراسوف ، من أن تشترى منه مذكراته ، وإنها ستشرع فى نشرها من الغد على حلقات ينبغى على القراء أن يتتبعوها ، لما فيها من طرافة وغرابة !

وهكذا يرضى الأطراف جميعا . **ويعود رئيس التحرير إلى وظيفته ، ليباشر بنفسه كتابة « مذكرات نيكراسوف » ، ونشرها على القراء الذين ينتظرونها فى لهفة !**

* * *



كلام الناس

قصة تمثيلية كبرى: للكاتب الأسبانى "جوزيه إشيجراى"



المــؤلف

« جوزيه إشيجاراى » ــ الذى عاش بين عامى ١٨٣٢ و ١٩١٦ ــ هو زعيم كتاب المسرح فى أسبانيا الحديثة .. درس فى شبابه الهندسة ، ثم اشتغل زمنا بتدريس الرياضيات فى مدرسة « كامينوس » بمدريد . وفى عام ١٨٦٧ عين وزيرا للمعارف والمالية ، وبقى فى منصبه سبع سنوات .. حتى آل حكم البلاد إلى أسرة « البوربون » فاعتزل السياسة وكرس حياته للتأليف للمسرح . ومنذ ذلك التاريخ حتى سنة ١٩٠٥ ــ أى طيلة ثلاثين سنة كاملة ــ ظل يؤلف للمسرح بمعدل مسرحيتين كل سنة !.. وفى مسرحياته نرى طابع التأثر بروح عميد المسرح العالمى الحديث « إبسن » ، كما نلمس الميل الواضح إلى معالجة موضوعات مسرحياته بصراحة العالم الذى يصور الواقع على بشاعته ، وليس بخيال الشاعر الذى يلونه وينمقه !.. وفى سنة ١٩٠٤ فاز « إشيجاراى » بجائزة نوبل للآداب فارتفع إلى مصاف الكتاب العالميين . والمسرحية التى أقدمها لك فيما يلى عنوانها الأصلى « آل جران جاليوتو » لكنها مثلت على مسارح إنجلترا باسم « الناس .. وزوجته » فلقيت نجاحا هائلا خلال السنوات الأخيرة ..

شخصيات الرواية

إرنست	: شاب يهوى التأليف المسرحى	Ernest
دون جوليان	: الأب « الروحى » لإرنست	Don Julian
تيودورا	: زوجة دون جوليان	Theodora
سيفيرو	: شقيق دون جوليان	Severo
مرسيدس	: زوجة سيفيرو	Mercedes

تمهيــد للقصــة

● تبدأ الرواية بشبه « مقدمة » ، نرى فيها الشاب اليتيم الموهوب « إرنست » ــ الذى يعيش فى كنف السيد « دون جوليان » ــ منهمكا فى تأليف رواية مسرحية . لكن الرواية مستعصية عليه ، تأبى أن تخرج إلى « الحياة » !.. فهى ما تزال بلا عنوان ، ولا حوادث ، ولا حبكة ، ولا خاتمة فاجعة !.. والشخصية الرئيسية فيها ليست شخصا محددا من البشر أو الأحياء ، وإنما هى شخصية « معنوية » ــ أو بالأحرى رمز فلسفي ــ إنها « الرأى العام » !

وفيما « إرنست » منهمك فى صراع أدبى مع هذه الفكرة المستحيلة ، يدخل « دون جوليان » مع زوجته الحسناء تيودورا ، وقد عادا لتوهما من المسرح :

جوليان : أوَ تريد نصيحتى ؟

إرنست : نصيحة صديقى وحاميّ ، وأبى الروحى ؟ بالتأكيد أريدها ؟

جوليان : إذن فلتنبذ هذه الفكرة السخيفة وتمضى إلى فراشك .. وغدا تبدأ فى تأليف رواية جديدة ، رواية لها عنوان وخاتمة ، وحوادث ، وأشخاص ، وعقدة .. إلخ .

تيودورا : كان ينبغى أن تذهب معنا إلى المسرح يا إرنست ، بدلا من أن تضيع وقتك فى محاولة تأليف هذه المسرحية « المستحيلة » .. فإنك فى المسرح تلتقى بالناس ، وتستمد منهم أفكارا ، وتسمعهم يثرثرون أحدهم فى سيرة الآخر ..

إرنست : (**يكرر كلماتها الأخيرة**) : يثرثرون أحدهم فى سيرة الآخر ! .. رجال ونساء ينهشون سمعة بعضهم البعض ، كما تنهش الوحوش لحوم البشر .. آه ، أخيرا واتتنى الفكرة التى كانت تنقص مسرحيتى ! والآن ، إلى العمل .. فلأبدأ كتابة المسرحية .. لم تعد الصفحة الأولى بيضاء خالية ، فقد كتبت فيها على الأقل عنوان الرواية « كلام الناس ! » .

« ١ »

● ترفع الستار فإذا نحن فى صالون منزل « دون جوليان » ، حيث كل شىء يوحى بالترف البالغ .. والوقت قبيل المساء .

دون جوليان جالس على أريكة ينظر شارد الفكر إلى زوجته « تيودورا » الواقفة بجوار النافذة :

تيودورا : ما الذى يشغلك يا عزيزى ؟

جوليان : إنى أفكر ..

تيودورا : وفيم تفكر ؟

جوليان : فى لا شىء .. فى الخير !

تيودورا : (**فى حنان**) هذا ليس بغريب يا جوليان ، ما دُمت أنت الذى تفكر !

جوليان : (**جادا**) إنى أفكر فى أمر « إرنست » .. ومستقبله .

تيودورا : يا له من فتى مسكين ! .. إنه طيب ، نبيل ، كريم إلى غير حد ..

جوليان : مثل أبيه ، الذى ضحى باسمه ، وأملاكه ، بل وبحياته ، من أجل أبى .. والآن وقد ترك إرنست وحيدا فى الدنيا فقد بات من واجبى أن أفعل شيئا من أجله ، كى أسدد الدين ..

● ونفهم أن إرنست يعيش فى بيت جوليان ، وفى كنفه .. وأن الأخير قد جعل من نفسه « أبا ثانيا » للشاب اليتيم ، كما جعلت زوجته من نفسها أختا له .. لكن الفتى يستنكف الوضع الشاذ الذى يكتنف إقامته فى بيت راعيه وحاميه :

إرنست : كان يجب أن أكون سعيدا مع « أب » مثلك ، و « أخت » مِثلك أنت ، ولكن .. ألا تريان زيف موقفى وحرجه ؟.. إنى أعيش من إحسانكما !

جوليان : (**إلى زوجته تيودورا**) إن صديقنا الصغير واسع الخيال ..!

تيودورا : (**إلى زوجها جوليان ، تكمل كلامه**) وساذج للغاية !.. إنه يبدو كأنما يعيش فى عالم غريب ، من صنع مخيلته !

إرنست : أخشى أن أكون كذلك .. إنى لا أعرف فى الواقع سوى النزر اليسير من أمور هذه الدنيا ، ولا أفهم الناس الذين يعيشون فيها ، بل إننى أرتجف حين أفكر فيهم : ماذا

يقولون عنى ، وعن مركزى فى هذا البيت ؟ لابد أنهم يتساءلون : « من يكون هذا الفتى ؟.. هل هو أحد الأقارب ؟ كلا .. هل هو سكرتير لرب البيت ؟.. كلا !.. أم هو شريك له ؟ ولا هذا أيضا !.. إذن فماذا يصنع فى بيت دون جوليان ؟ » .. هذا ما يتهامسون به ولابد فيما بينهم !

جوليان : أنت تتوهم ذلك كله !

إرنست : كلا ، لست أتوهم شيئا ، بل إن بعض أفراد أسرتك ذاتها — أخاك وزوجته ، وابنهما — قد بدأوا يتناولون سيرتى ، ويرددون ما يسمعونه من الآخرين .. ما هم إلا مرآة تعكس آراء الناس !

جوليان : ومن يعبأ بكلام الناس ، أو بثرثرة الفضوليين الأشرار!

إرنست : آه ، لكن ثرثرة الناس تبدأ عادة كأكذوبة ثم تنتهى كحقيقة !.. إنها « تخلق » الخطيئة التى تندد بها ..!

● ويرى جوليان أن إرنست يعانى أعراض « فلسفة » شاعر ساذج ، مرهف الإحساس !.. لكنه لكى يريح ذهن الفتى فى هذا الصدد يعرض عليه منصب السكرتير الخاص له ، فيقبل إرنست العرض مرحبا .. ثم يمضى جوليان إلى بعض أعماله تاركا إرنست وحيدا .. مع تيودورا :

إرنست : لقد كنتما دائما شديدى العطف على . كيف أستطيع أن أوفيكما يوما بعض دينكما ؟

(ويتهالك جالسا على الأريكة فى تأثر بالغ ، بينما تعبر تيودورا الغرفة إلى حيث جلس وتظل واقفة إلى جواره ..)

تيودورا : تستطيع أن توفينا ديننا بتطليقك الخوف والريب !



إنهما دائما معا !

وفيما هما يتحدثان هكذا يهبط الليل رويدا ، وتغرق الحجرة فى شبه ظلمة .. وفى هذه الأثناء يقبل من الخارج « دون سيفيرو » شقيق جوليان ، وزوجته « مرسيدس » .. فيسمعان لغط الحديث من داخل الغرفة دون أن يميزا الألفاظ :

مرسيدس : (إلى زوجها دون سيفيرو ، فى صوت هامس) : إنه إرنست ..!

سيفيرو : (إلى مرسيدس) وتيودورا !

مرسيدس : إنهما دائما معا ..!

سيفيرو : لا عجب إذن فى أن يتكلم الناس عنهما .. يجب أن ننبه جوليان !

مرسيدس : نعم وننذر تيودورا .. !

● وهكذا يتدخل الفضوليان بين الزوجين !.. وفى أثناء انهماكهما فى تسميم أذهان جوليان وتيودورا ، يتولى ابنهما « بيبتو » التأثير فى قلب إرنست المرهف بثرثرته الشريرة !.. ويلح ثلاثتهم فى الإيحاء لضحاياهم بأن كل تلك الأقاويل ليست من ثمار أفكارهم الخاصة .. كلا .. بل هى صورة دقيقة لما سمعوه من أفواه الناس . فإن الجميع يتحدثون فى الأمر ، لا سيما وأن جوليان فى الأربعين ، بينما زوجته تيودورا لم تجاوز العشرين ، وإرنست شاب أنيق جذاب .. فلم لا يتكلم الناس ؟!

ونتيجة لهذا التدخل الآثم لا يستطيع الأصدقاء الثلاثة — دون جوليان ،

وتيودورا ، وإرنست ـــ أن يحتفظوا كل نحو الآخر بالود الصريح البرىء الذى كان يشعر به من قبل ، وإن ظلت صلتهم فى الظاهر كما هى .. إنهم يأبون السماح لألسنة المجتمع الشريرة ببث الكراهية فى قلوبهم مكان الحب الخالص . وحين يحل موعد العشاء يلح جوليان على إرنست فى أن يتأبط ذراع زوجته ، كالعادة ، قائلا له : « لست أعبأ ألبتة برأى الناس !.. دع الناس يثرثرون ويتهامسون ، بل دعهم يتصايحون ، فإن براءتنا هى خير دفاع فى جعبتنا ..! » .

لكن بذرة الشك قد زرعت فى ذهنه ، وبدأت تنمو وتكبر !.. وفيما هو يهم بدخول غرفة المائدة يستدير إلى أخيه سيفيرو متسائلا :

جوليان : لماذا ينظر إرنست وتيودورا إلى هكذا ؟ لماذا ؟

سيفيرو : أخيرا بدأت تعود إلى صوابك !

جوليان : تقصد أن تقول إنى بدأت أصدق ترهاتك .. لقد سددت فريتك جيدا فسلكت سبيلها مباشرة إلى القلب !

« ٢ »

● فإذا كان الفصل الثانى فقد تعقدت الأمور ، وترك إرنست بيت جوليان وتيودورا !.. وهو الآن فى طريقه لأن يبحر إلى أمريكا الجنوبية كى يشق مستقبله فى مجاهلها .. ولكن قبل أن يسافر يتعين عليه أن يواجه أمرا هاما : أن يبارز نذلا حقيرا يدعى الكونت « نبرادا » ، لتطاوله على سيرة تيودورا على ملأ من الناس !.. وقد اختيرت لإجراء المبارزة غرفة خالية تقع فوق مسكن إرنست المؤقت ..

لكن جوليان يعلم بأمر المبارزة المزمع أن تتم ، فيعتزم أن يسبق إرنست إليه : « فإن

الإهانة التي توجه إلى زوجتي يجب أن أدفعها أنا ، وليس هو ! » .. وهكذا يختار جوليان شقيقه سيفيرو شاهدا ويتوجه الإثنان إلى الغرفة المقصودة ، لإتمام المبارزة .. بغير علم إرنست !

وفى هذه الأثناء تعلم تيودورا بنبأ المبارزة العتيدة أن تجرى بين إرنست والكونت نبرادا ، فتهرع إلى مسكن الشاب مذعورة ، رغم أن صداقتهما قد فترت واعترتها الكلفة :

إرنست : إن الشياطين الصغار الذين ينسجون خيوط الافتراءات الظالمة فى الخفاء قد أفلحوا فى بلوغ غايتهم ..!

تيودورا : لم تعد الأحوال ملائمة الآن يا إرنست ، فهناك هوة بيننا .. !

إرنست : أنت على حق يا تيودورا .. لم يعد فى وسعنا الآن أن نحب أحدنا الآخر كأخ وأخت .. ولن يستطيع الناس أن يفهمونا إذا فعلنا !

تيودورا : ولا أنا أستطيع أن أفهم الناس ..

إرنست : ما كان يجب أن تأتى يا تيودورا .. فلو رآنا أحد هنا ؟

(**وهنا تبوح له تيودورا بسبب قدومها**) :

تيودورا : يجب ألا تقدم على المبارزة !

إرنست : لماذا !

تيودورا : إنه ليزعجنى ويفزعنى أن أفكر فى الدم الذى سوف تريقه من أجلى !.. ثم يجب ألا تغرب عن بالك



الفضيحة ..

إرنست : أية فضيحة ..؟

تيودورا : كل الناس يتحدثون عنا ويشيرون نحوى بإصبع الاتهام والتحقير ، لأن الذى يدافع عن شرفى هو أنت ، وليس زوجى ..!



● لكن إرنست يصر على أن يكون هو — دون غيره — الذى يبارز الكونت نبرادا : « فلو قتلته فسوف يربح الناس ، إذ يتخلصون من نذل !.. وإذا قتلنى هو أكون أنا الرابح ، إذ أتخلص من الناس .. ؟ »

وهنا تعمد تيودورا إلى التوسل والمناشدة ، بعد أن فشل سلاح الجدل والمناقشة .. ودون أن تشعر ترق تدريجيا عباراتها ، وتوسلاتها ، فيتحول الصديق فى لهجتها إلى عشيق !.. ثم تتعطل لغة الكلام ، فيلوذ كلاهما بالصمت .. ويطول صمتهما دون أن يجرؤ أحدهما على النظر إلى الآخر !

وفجأة يقطع حبل الصمت صدى أقدام تقترب من باب الحجرة ، فيشير إرنست إلى تيودورا كى تختبىء فى الحجرة المجاورة !.. ولا تمضى لحظات حتى يحمل جوليان إلى المكان مصابا بجرح خطير ، ويحدج « سيفيرو » — الذى كان يحمل الجريح — « إرنست » بنظرة تنطوى على البغض الشديد :

سيفيرو : أنت السبب فيما حدث ..!

إرنست : دون جوليان !.. صديقي !.. رب نعمتى ! أبى ..!

جوليان : (**بصوت خفيض**) : لا بأس يا ابنى .. لقد أديت أنت واجبك ، وأنا واجبى !

سيفيرو : أسرع .. الألم يكاد يقتله .. خذه إلى مخدعك ، أرحه على فراشك ..

إرنست : كلا .. ليس هناك .

سيفيرو : ولم لا ؟ من فى تلك الغرفة ؟

● وفجأة يفتح الباب على مصراعيه ، وتظهر على عتبته تيـودورا!.. فيتحامل جوليان على نفسه ويصيح كمن لا يصدق عينيه : « من هنـاك ؟ تيودورا ؟ » ثم يقع على الأرض مغشيا عليه ..!

« ٣ »

● فإذا كان الفصل التالى فقد بارز الشاب « إرنست » غريمه الكونت نبرادا ، وقتله !.. بينما حمل جوليان إلى بيته ، حيث رقد فى حالة احتضار ..

ويأتى إرنست ليستفسر عنه ، فيلتقى بزوجة أخي جوليان ـــ مرسيدس ـــ وابنها بيبتو :

إرنست : مرسيدس ، بحق الرحمة أجيبينى .. آه لو علمت بمبلغ عذابى ! .. أخبرينى ، هل جوليان ..؟

مرسيدس : إنه يعانى أثار جرحه الخطير ، وهو يمقت مجرد ذكر

اسمك !.. ابرح هذا البيت ..!

● لكن الفتى يأبى الخروج ، وإنما يتوسل كي يرى جوليان ويتحدث إليه ولو بكلمة واحدة يؤكد له فيها براءة تيودورا : « إن ألسنة الناس الشريرة قد قتلت شرف ثلاثة ، وسمعة ثلاثة ، وأرواح ثلاثة .. إنهم قد دفعونا إلى قلب دوامة رهيبة من الأكاذيب والابتذال .. الناس يقولون إن جوليان أخذ مكانى فى منازلة « نبرادا » ، وإننى تأخرت فى الحضور لأننى كنت بين ذراعى (....) رباه ! إن شفتى تأبيان النطق ببقية العبارة ! .. ابحثى يا سيدتى عن أقذر شىء يمكن أن تجديه ، حثالة و « وحل » النفس البشرية ، وألقيها إلى الرياح الأربع كى تذورها فى كل اتجاه ، وتلطخ بها كل الألسنة والشفاه .. وعندئذ تتجمع لك عناصر هذه المأساة ، التى هدمت حياة رجلين شريفين وامرأة نبيلة ..! » .

وبعد أن يطلق الفتى العنان لسخطه وحنقه على هذا النحو ، يعود فيستعطف مرسيدس كى تسمح له بأن يرى جوليان لحظة واحدة ، وإلا فقد عقله !

ولكن ، مرة أخرى تجابهه المرأة بالرفض البات : إنه لن يرى جوليان ! وإن كان يستطيع إذا شاء أن يودع تيودورا ، بشرط أن لا يطأ البيت مرة أخرى !

ويلتقى إرنست وتيودورا ، على انفراد :

تيودورا : أرجوك أن تذهب يا إرنست ... وإنى أغفر لك كل الشر الذى جلبته علينا .

إرنست : الشر الذى جلبته « أنا » عليكما ؟

تيودورا : أرجوك أن تذهب ، فإن جوليان يتعذب فى الغرفة المجاورة .. وأنا أتعذب هنا .

إرنست : وأنا ألست أتعذب بدورى ؟

تيودورا : اغفر لى إذا كنت قد أسأت إليك ..

● وعند هذه الكلمات يغلب على إرنست التأثر فيخر جاثيا على ركبتيه أمامها ويتناول يدها .. فى الوقت الذى يظهر فيه سيفيرو عند الباب ويراهما معا !.. فيأمر إرنست بمبارحة البيت فورا ، ثم يستدير نحو تيودورا قائلا : « أما أنت .. فاخفضى رأسك إلى الأرض خزيا وعارا ! » .

ويمسك بها من خصرها فى وحشية محاولا أن يجبرها على أن تجثو عند قدميه ، فيلقى إرنست بنفسه عليه ويخلص تيودورا من قبضته .. ويبلغ ضجيج الصراع مسامع جوليان فينهض من فراشه ويقبل مترنحا :

جوليان : سيفيرو ، لقد خدعانى .. كذبا على ! الآن أرى وأفهم كل شيء بوضوح ..

إرنست : إنك تراه من خلال ذهنك المحموم يا أبى ..

لكن جوليان يصر على أن زوجته وربيبه قد خاناه ، ويصيح بالأخير :

جوليان : اعترف بإثمك ..!

إرنست : ليس ثمة إثم !

● فيصفعه جوليان على وجهه بقوة تستثير شفقة مرسيدس ذاتها !.. بينما يهتف زوجها سيفيرو فى ارتياح : « هذا جزاء عادل ..! »

أما جوليان فيعود وهو يترنح إلى الغرفة المجاورة ، مستندا على ذراعى سيفيرو ومرسيدس . وتحاول تيودورا أن تتبعه ، لكن سيفيرو يتصدى لها صائحا :

سيفيرو : اخرجى من هذا البيت فورا .. اخرجا كلاكما ..!

تيودورا : هل هذه رغبة زوجى ..!

سيفيرو : زوجك قد مات ..!

.. ويأمر ابنه بيبتو بأن يطرد تيودورا إلى الطريق : « فى التو واللحظة .. أتسمعين ؟ لقد دنست هذا البيت بما فيه الكفاية ! » .

إرنست : احذورا من أن يمس أحدكم هذه المرأة بأى أذى ، فإنها تخصنى !.. هذه إرادة الناس ، وأنا أقبلها !

سيفيرو : أخيرا رفعت النقاب عن نواياك أيها النذل !

إرنست : أنت على حق .. أخيرا أصبحت أنا عاشقها المتيم ، ومغويها الشرير ، وكل ما أردتنى أن أكونه .. فأعلن ذلك .. أعلنه على الملأ .. وإذا سألوك من كان الوسيط فى هذه الصفقة الآثمة فقل أنه أنت ! أنت .. أنت وأمثالك من ذوى الألسنة القذرة والقلوب الشريرة التى صاغت منى على هواها صورة طبق الأصل من شخصك ..!

تعالى يا تيودورا ، إننى أستطيع أن أرى خيال أمى تطبع قبلة على جبينك الطاهر .. إنك تخصيننى أنـا الآن ، ولتكن السماء حكما بين الناس وبينى ..!

(ســتار)

* * *


ESCAPE
BY
J. GALSWORTHY
الهارب
من السجن!
تمثيلية اجتماعية للكاتب الانجليزى المعروف:
جون جالسورثى

قصة رجل اهتدى إلى نفسه !

● عرف عن الكاتب الإنجليزى المبدع « جون جالسويرثى » ولعه بمعالجة المشكلات الاجتماعية الناشئة عن سوء فهم المجتمع للعدالة .. لذلك كانت معظم مسرحياته تدور حول « السابقة الأولى » لمن يسوقه الحظ إلى السجن ، وحول سوء المعاملة فى السجون ، وعواقب تزمت القضاة والمحلفين فى تطبيق نصوص القانون .. والمسرحية التى نلخصها لك اليوم ، من هذا القبيل : لقد فر سجين من سجنه ، لأنه كان يؤمن بأن العقوبة التى قضى بها عليه أكبر من ذنبه .. وأوشك أن ينجو أخيرا من مطارديه ، لولا أن اهتدى إلى نفسه .. إلى ضميره !

إن الموضوع طريف ، وأطرف منه أن « جالسويرثى » اتبع فى الكتابة منهجا فنيا جديدا .. فقد جعل المسرحية من « تمهيد » وفصلين ، تضمنت تسعة مشاهد متتابعة ، مما يجعل المسرح فى حركة وتغير وتنوع باستمرار ، طيلة المدة التى تستغرقها المسرحية .

متنزه : (هايدبارك) بلندن ، فى إحدى أمسيات الصيف .. فتاة تجلس على أحد المقاعد العامة ، ينم مظهرها عن أنها من بائعات الهوى .. وإذ تضيق بهذا الجزء من المتنزه ، لخلوه من الرواد ، وتهم بمبارحة مكانها ، يفد « مات دينانت » ، وهو شاب رياضى ، لاح من ثيابه أنه كان يشهد سباق الخيل . فتحاول الفتاة أن تتصيده ، وتسأله ثقابا لتشعل سيجارة ، وتستدرجه إلى الحديث ، فيستجيب فى غير اكتراث :

مـات : ألا تحبين الخيل ؟.. إنها أبدع ما فى الدنيا !

الفتاة : أبدع من النساء ؟

مـات : فيما عداك !

الفتاة : أصادق أنت !.. يبدو أنك لا تحب النساء .

مـات : لست أحبهن كثيرا .. وإذا شئت الحق ، ففيهن كثير من الرذيلة إذا قستهن بالخيل !

الفتاة : ومن الذى يبث الرذيلة فيهن ؟

مـات : كلكن تتهمن الرجال ، ولكن .. هل تصدقين ذلك ؟

الفتاة : (**متضاحكة**) ألا يبث الرجال الرذيلة .. حتى فى الجياد ؟

مـات : ما رأيت أشد تمردا من جواد غير ذلول .

الفتاة : ليس هناك ما هو أشد جموحا من امرأة غير ذلول !

مـات : ليس للنساء ما للجياد من عذر ، فقد اعتدن أن يكن أليفات منذ كانت « حواء » تقدم الشاى إلى « آدم » !

وتحاول الفتاة أن تحمل الشاب على أن يصحبها إلى بيتها ، فيعتذر وينصرف . وإذ ذاك ، يفد أحد رجال البوليس السرى محاولا القبض عليها بتهمة محاولة استدراج الشاب . ولكن الشاب يمر بالمكان ثانية — فى تلك اللحظة — فتستشهد به الفتاة . ويدافع الشاب عنها .

رجل البوليس السرى : لقد رأيتها تغويك .. كما رأيتها تغوى غيرك من قبل .

الشاب : لا شأن لى بما سبق ، ولكنك لم تر إغواء فى هذه المرة ، فهلا تركت الفتاة ؟.. إنك تتجاوز واجبك .

رجل البوليس السرى : وما أدراك بواجبى !.. إذا لم تشأ الانصراف ، فاتبعنا إلى قسم البوليس !

الشاب : أليس من حق الناس أن يكلم بعضهم بعضا ؟.. أقسم بشرفى إن هذه السيدة لم تضايقنى !

رجل البوليس السرى : إذا لم تكف عن التدخل فى واجبى ، فسأطلب نجدة .. لقد كانت هذه المرأة تمارس مهنتها هنا ، وقد ظللت أراقبها ثلاث ليال !

وينفخ المخبر فى صافرته مستنجدا ، ويترك ذراع الفتاة ، يمسك بذراع « مات » ، فيهيب هذا بها أن تهرب . وإذ تشتد المقاومة ، يوجه « مات » لكمة قوية للمخبر ، فيقع هذا ويرتطم رأسه بالسياج الحديدى .. ويرتبك الشاب والفتاة ، إذ يكتشفان أنه قد توفى .

الفتاة : أسرع ، قبل أن يأتى أحد !

مات : لا يسعنى أن أترك هذا المسكين اللعين هكذا ..

الفتاة : بل هيا !.. هب أنه مات !

ويصر الشاب على أن يحاول إسعاف المخبر . وفى تلك الأثناء ، يقبل اثنان من الشرطة . فيسرع أحدهما لاستدعاء سيارة الإسعاف ، ويصر على أن يستبقى « مات » معه .

* * *

وترفع ستار المشهد الأول من الفصل الأول ــ فقد كان كل ما سبق مجرد تمهيد للمسرحية ــ عن المزرعة الملحقة بسجن (دارتمور) بعد الحادث بعام .. وثمة ضباب كثيف .. و « مات » يعمل مع سجين آخر ، وهما يتحدثان بصوت خافت .

مات : وتوفى المخبر المسكين ، فقضى على بالسجن لخمس سنوات .. ولقد وقفت الفتاة إلى جانبى موقفا مشرفا !

السجين : قليل منهن من يفعلن ذلك .. وكم تبقى من المدة ؟

مات : ثلاث سنوات ، إذا أحسنت السلوك .. ثلاث سنوات أعيشها ككلب !

السجين : أما أنا ، فلا تزال أمامى أربع سنوات !

ويوحى الضباب إلى « مات » بمحاولة الهرب ، ولكن السجين يصور لمات ما فى ذلك من مخاطرات وصعاب .

مات : لقد استطعت أن أهرب من ألمانيا ، فى الحرب .. ارسم لى معالم المنطقة بعصا على الأرض !

ويعين له السجين موقع منطقة المستقعات القريبة من السجن ، والطريق العامة ، ومدينة (تافيستوك) ، والجسور التى تتخلل الطريق إليها ، فيتفرس « مات » فى الرسم .. وتسودهما فترة صمت ..

السجين : إنك مجنون يا سيد .. سيطلقون عليك النار إذا رأوك . فإن لم يروك ، فلن يلبثوا أن يفطنوا إلى غيابك .

مات : لا بأس يا صديقى .. إن الرصاصة قد تتيح لك لونا جديدا من الحياة !

السجين : إنهم يسرعون إلى إعادتنا إلى السجن عندما يشتد الضباب ..

ويبتعد « مات » ، ثم يحنى قامته ويندفع جاريا كقطة نشيطة . وإن هى إلا دقيقة ، حتى يختفى .. وتهبط الستار ، لترتفع ثانية ، إشارة إلى

انقضاء سبع ساعات .. ونرى الحراس يجوسون خلال المنطقة المحيطة بالسجن ، بحثا عن الهارب ، فلا يبوءون بغير الفشل .. ثم تهبط الستار من جديد ، لترتفع عن المشهد الثالث من الفصل ، فإذا اثنتان وثلاثون ساعة قد انقضت ، **وإذا أمامنا مخدع فى فندق ريفى على الجانب الآخر من منطقة المستنقعات . وخيوط من ضوء النهار تنساب إلى الحجرة لنرى عليها ثياب امرأة على مقعد بجانب الفراش الذى شغلته سيدة وتنبعث طرقات على الباب ، فتستيقظ السيدة .. وتدخل إحدى خدم الفندق ، تحمل ماء ساخنا .**

السيدة : (**بصوت ناعس**) كيف حال الجو ؟

الخادم : لا يزال الضباب كثيفا .. أتستحمين يا سيدتى ؟

السيدة : أجل .. آه ، سيأتى زوجى مساء اليوم ، فلابد من أن أنتقل ثانية إلى الحجرة ذات السريرين .

الخادم : (**وهى تزيح الستائر عن إحدى النوافد**) : إنهم لم يعثروا على السجين الهارب .. يقولون إنه شاب قتل أحد المخبرين فى (هايد بارك) ، وأثارت قضيته ضجة .

السيدة : آه ، أذكر ذلك .. الكابتن دينانت !

الخادم : لابد من أن يعثروا عليه ، إذ أنه لن يستغنى عن طعام وملابس .. إنهم دائما يستعيدون الهاربين !

وتخرج الخادم ، فتسير السيدة إلى الحمام . وما إن تخلو الحجرة ، حتى يبرز « مات دينانت » من وراء ستار الشرفة ، وهو مشعث

الهيأة ، مبلل الثياب ، ممسك بحذاءيه فى يده . ويلعن حظه إذ يتبين أن شاغلة الحجرة سيدة . وفجأة ، تعود هذه فتلمحه ، ويستولى عليها الذعر .

مات : صه !.. لا تخشى بأسا !.. شد ما أنا آسف !

السيدة : (**تدرك من ثيابه أنه سجين هارب**)إذن : فأنت الهارب ؟!.. ما الذى حملك على المجىء إلى هنا ، وكيف دخلت ؟

مات : لقد كنت تحت السرير ساعات طويلة .. وما كنت أعرف أن شاغلة الحجرة سيدة ، ولو عرفت .. (**يصمت**)

السيدة : لا بأس ، ما دمت سيدا مهذبا .. ألن تنصرف ؟

مات : لست أبغى سوى هذا ، ولكن إلى أين ؟.. وماذا يفعل المرء وهو فى مثل هذه الثياب ؟

السيدة : أتتوقع أن أعيرك ثيابا ؟

مات : ما أظن .. ولكنى أظل مدينا لك إلى الأبد ، إذا منحتنى ما آكله !

وتقدم له السيدة قطعة من « الشيكولاته » ، فيلتهم جزءا منها ، ويدس الباقى فى جيبه . ثم يستأذن السيدة فى أن يشرب من صنبور حوض الغسيل . وهناك يلمح موسى للحلاقة .

السيدة : (**منفعلة**)إنها موسى زوجى .. لا تأخذها !

مات : ما أظنك تعارضين فى أن أزيل لحيتى ، فليس أقبح من

مظهر الرجل بلحية أهملت ثلاثة أيام ! (**ويبادر باستعمال الموسى**) كدت أقع فى أيديهم ثانية ..

ويذكر أنه تسلل من المستنقعات — فى باكورة المساء السابق — وتسلق الشرفة ، ثم اندس تحت الفراش ، وسرعان ما غشيه النعاس .

السيدة : إذن فقد نمت تحت سريرى ؟

مات : بكل أسف !.. فما كانت ثمة حيلة أخرى !

السيدة : قل لى يا كابتن .. لقد اعتاد أخى أن يتحدث عن بطل للجرى يدعى « مات دينانت » .. ألم تكن معه فى مدرسة هارتشيستن ؟

مات : كم زاملت من أشخاص فى الدراسة !.. ما اسمه ؟

السيدة : ما ينبغى أن أذكره !

مات : أنت على حق ، فما ينبغى أن تذكرى لسجين شيئا يستطيع أن يستغله !

السيدة : لست أدرى كيف أساعدك .. لقد قرأت محاكمتك !

مات : وظننتى رجل سوء .. أتعرفين كيف قضيت معظم وقتى فى السجن ؟.. كنت أعقد محادثات مع شخصيات محترمة أتصورها فى خيالى !.. إننى أوقن أن معظم الناس يخالوننى مفسودا !.. على أية حال ، لست أريد أن أثقل عليك ، ولكننى لن أستطيع مبارحة هذا المكان بثيابى هذه !

ويشير إلى النافذة ، فترى جنديا مرابطا أمام الفندق .

السيدة : وماذا تعتزم أن تفعل ؟

مات : سأنتظر حتى يشغل عن النظر فى هذا الاتجاه ، وأسرع إلى الهبوط عن الطرف الأقصى للشرفة ، وأنطلق جاريا .. من جديد ! (**يبسط يده ليصافحها**) وداعا !

السيدة : (**تتجاهل يده ، وتخرج زجاجة كونياك من أحد الأدراج ، فتدفعها إليه**)أرجو لك حظا سعيدا !.. خذ هذه ، فإذا رأيت أحدا ينظر إليك فاشرب ، إذ ما من شيء يبعث الاطمئنان إلى رجل أكثر من رؤيته وهو يشرب ! (**تتناول من حقيبتها جنيهين وتقدمهما له**) **هذا كل ما لدى هنا !**

مات : الحق أنك قديسة !.. ولو أننى وقعت فى أيديهم ، فسأزعم أننى سرقت المبلغ والزجاجة !

* * *

وترتفع الستار عن الفصل الثانى ، الذى تقع أحداثه بعد سبع ساعات .. فنرى « مات » وقد أخفى ثياب السجن تحت معطف رث ، وجلس فى بقعة عالية الأعشاب ، على ضفة نهر (دارتميت) ، وقد اصطاد ثمانى سمكات صغيرة ، فتحول يأكل ما تبقى من قطعة الشيكولاتة ، ويتظاهر بالشرب من الزجاجة التى فرغ ما كان فيها من شراب . **ولا يلبث يقترب منه سيد كهل ، فيروح يجاذبه أطراف الحديث ، حتى يتطرقا إلى موضوع فرار « الكابتن مات ديناميت » من السجن .**

السيد الكهل : لقد كان المخبر يؤدى واجبه بلا ريب ! (**يقدم سيجارا لمات ويشعل لنفسه آخر**) أحسب أن المرء قد يصادف ذلك السجين فى أية لحظة ، ولسوف يكون ذلك أشبه بلقاء ثعبان ، إذ أنه لن يبتغى سوى أن يفر منك .. ومع ذلك فهو قد يلدغ كلبك إذا لم تقصم ظهره !.. إنه واجب فيما أحسب ، فما رأيك ؟

مات : ربما .. ولكننى لا أؤدى واجبى دائما !

السيد الكهل : آه !.. يسرنى هذا ، فكذلك أنا !

مات : أفتعرف ذلك السجين ؟

السيد الكهل : لا .. الواقع أننى ابتليت بإرسال عدد كبير من الناس إلى السجن ، فى حياتى .. وكنت أزور السجون من آن لآخر ، وكم دعوت المحلفين إلى أن يزوروها ليروا بنى جلدتهم ، ولكن .. من السخرية حقا أن أحدا لم يذهب منهم !

مات : لخير لى أن أزور « المشرحة » عن أن أزور سجنا ، فإن الأجسام لا تكون حية هناك .. على أية حال !

السيد الكهل : (**وهو يتفرس فيه**) : يقولون إن السجون قد تحسنت ، ودخلها شعور إنسانى .. وأعتقد أنهم لم يعودوا يحلقون رءوس المسجونين ! (**يتململ مات**) هب أن ذلك السجين الهارب ظهر هنا .. (**يهز إصبعه نحوه**) فماذا تفعل ؟

مات : أجرى كالأرنب ! (**يمر بيده على جبينه فجأة**)

السيد الكهل : ماذا بك ؟

مات : أرانى مضطرا إلى أن أتخلى عن سيجارك الفاخر لقد استمتعت به ، ولكننى أدخن ومعدتى خاوية !

السيد الكهل : مسكين ! (**يرمقه بنظرة ثانية فاحصة**)أعتقد أن التبغ ولابد فى مقدمة المحرمات فى السجن !

يتأهب « مات » للانصراف ، وقد اشتد توجسه من السيد الكهل . فينهض هذا متأهبا للانصراف هو الآخر .

السيد الكهل : مع السلامة يا .. كابتن دينانت (**يجفل مات**)

مات : (**محملقا فيه**)هل تسمح بأن تخبرنى كيف اكتشفت حقيقة شخصيتى ؟

السيد الكهل : أولا ، الطريقة التى كنت تنظر بها إلى صيدك من السمك .. كذئب نهم !.. وشيء آخر ، هو إشفاقك البادى على نفسك !

مات : هذه عادة اكتسبتها من السجن .، فليس من المسموح لك هناك أن تعطف على الآخرين ، خشية أن تصمهم بوصمتك !

وينصرف الرجل وهو يتأمل دخان سيجاره ، وكأنه نسى كل شيء عن « مات » الذى يبدو متأثراً بهذا العمل الكريم .. وتهبط الستار ، لترتفع مؤذنة بانقضاء ساعة . ونرى « مات » يلتقى برجلين وامرأتين خرجوا لنزهة خلوية ، ويلوح إن أحد الرجلين بدال ، وإحدى المرأتين

زوجته ، والأخرى أخته ، فى حين أن الرجل الآخر ضابط بحرى . وإذ يلمح « مات » إعجابهم بالسمك
الذى اصطاده ، يقدمه للزوجة هدية ، بعد أن سألهم
عن الطريق إلى (بوف) .

مات : هل سمعتم شيئا عن السجين الهارب ؟

وإذ يبدو أنهم لم يسمعوا عنه شيئا ، يذكر لهم إن سجينا هرب فى أطواء الضباب ، فى الليلة قبل السابقة .. ولا يكف — طيلة الوقت — عن أن يرمق رغيفا بين متاعهم ، فيظل يتحرك ليصير قريبا منه فيسرقه !

البدال : أرجو أن يعمل كل امرىء على القبض عليه !

الزوجة : (**تتناول من متاعهم صحيفة وتبحث عن النبأ**) أليس هو الرجل الذى قتل المخبر المسكين فى (هايد بارك) .. إنه وغد ، شرير !

الأخت : (**بلهجة لاذعة**) أعتقد أن بعض الناس يعطفون عليه !

مات : إذا لم تروا هذا عجيبا ، فأنا أعطف عليه !

البدال : أنت !.. لماذا ؟

مات : لأننى أعتقد أنه منى بحظ لعين للغاية .

الزوجة : كيف ؟.. لقد قبض المخبر على إحدى « أولئك النساء » جالسة مع الشاب . ولو أنه كان سيدا مهذبا لما ضرب المخبر على رأسه وقتله !

مات : لقد تبين المحلفون أنه لم يكن يبغى الفرار من المخبر ،

ولكنهما تشاجرا ، فوقع المخبر ، وارتطمت رأسه بالسياج الحديدى !

البدال : لو لم يضرب الشاب المخبر ، لما وقع هذا ..

مات : بديع ! ولكن ، لو لم يمسكه المخبر لما ضربه !

البدال : مهما يكن الأمر ، فقد كنت خليقا بأن أشنقه لاعتدائه على موظف أثناء أداء واجبه ، ولجلوسه مع امرأة فى متنزه عام .

الأخت : وهل عاقبوا المرأة ؟.. لو كنت أملك سلطانا لسجنت كل امرأة من هذا الصنف ، لأنهن يغوين الشبان !

ويستطيع مات أن يسرق بضع لقم من الخبز ، ثم ينصرف . فيتأهب المتنزهون لركوب سياراتهم . وقبل أن يبلغوها ، يكون « مات » قد قفز إليها ، وانطلق بها .. ويجرى الرجلان وراءها فلا يلحقان بها ، وإذ ذاك يجلس الضابط البحرى ، ويغرق فى الضحك .

الأخت : (**للزوجة**)إنك السبب ، إذ أخذت سمكه .. كان خليقا بك أن تدركى أنه لص !

الزوجة : كفى !.. ترى كيف نعود إلى البيت ؟

الأخت : ومع ذلك فقد كنا نتحدث عنه طيلة الوقت .. إنه السجين الهارب !

الزوجة : (**لزوجها**)أنت السبب .. لو لم تصفه بكل سوء ، وتقول إنك كنت خليقا بأن تشنقه ، لما سرق السيارة !

وتهبط الستار ، لترتفع عن المشهد الثالث من الفصل الثانى .. بعد نصف ساعة .. رجل وزوجته يتنزهان فى الخلاء ، ولا تلبث أن تظهر السيارة ، ويهبط منها « مات » فيسألهما عن الطريق إلى (بوف)

الزوج : إننا غريبان عن المنطقة ..

الزوجة : امض إلى أعلى التل ، ثم اعرج يمينا ، ثم يسارا ، تبلغ بوابة ..

مات : ثم أسأل هناك ؟!.. (**يتهيأ للانصراف**) شكرا !

وينطلق ، فيتابعه الزوجان بأنظارهما .. ولا يلبث أن يظهر شرطى على دراجة ، فيسألهما : « هل رأيتما سجينا يمر بهذا المكان ؟ » .

الزوج : (**بدهشة**)سجين ؟.. لا . إنما رأينا سيارة ، فيها سيد .

الكونستابل : وكيف عرفتما أنه سيد ؟

الزوج : من صوته .. فقد سألنا عن الطريق إلى (بوف)

الكونستابل : (**يمسح وجهه بيده**)بوف ؟.. لقد أرشدتما السجين الهارب .

الزوجة : لقد كان لطيفا جدا !

الزوج : (**يجزع**)أحقا ؟.. ولكنه . ألا يحسن أن تتصل ببوف تليفونيا ؟

الكونستابل : (**ساخرا**)بوف !.. إنه ما قال ذلك إلا لكى يضللنى !.. لقد سرق السيارة منذ نصف ساعة . لابد لى — على كل حال — من أن أنصرف ، وأن أتصل

الزوج : ولكننى عرفت حقيقتك ، وأنا ضد مساعدتك .

الزوجة : (لمات) سآتى معك ، ولن يرتاب أحد فى أمرك ، إذا كانت معك سيدة !

ويغلب الرجل على أمره .. ثم تسدل الستار ، لترفع مؤذنة بانقضاء ساعة ، و « مات » ، نائم بين حشائش عالية ، فى انتظار هبوط الليل .. وإذا باثنين من العمال الزراعيين يفاجئانه ، ويعربان عن ارتيابهما فى أنه السجين الهارب .

مات : لابد لى من أن أقابل صاحب المزرعة التى تعملان فيها ، فلست أحب أن أوخذ على أننى سجين هارب .

أحد العاملين : اذهب يا جورج فادع السيد براونينج .. (**يتحول إلى مات ، بعد انصراف زميله**) .. لقد سرق الهارب سيارة ، وقد وجدناها على جانب الخندق !

مات : وما شأنى بالسيارة ؟.. أترانى أبدو كسجين هارب ؟

ينهض فجأة ، فيرفع العامل مجرفة فى يده . وفى تلك اللحظة يظهر العامل الآخر ، ومعه فتاة فى الثالثة عشرة ، وصاحب المزرعة .

مات : أأنت السيد براونينج ؟ إن اسمى الكابتن ماتيو .

ولكن صاحب المزرعة يتشبث بشكوكه فى إصرار . ويتظاهر « مات » بالاستسلام ، حتى يطمئن الجميع ، ثم إذا به يقفز فجأة ، ويجرى فى خط متعرج ، ويجرى وراءه الرجال . ويصل « الكونستابل » فينضم إليهم ، ولكن « مات » يختفى عن الأنظار .

* * *

تليفونيا ! (**ينطلق**)

الزوج : (**لزوجته**)لو أننى عـرفت ..
ولكن ، ها هو ذا عائد !

تظهـر السيارة ، ويقـف « مـات » ليقول إن السيارة لم تقو على صعود التل ، ومن ثم فسييمم شطر القرية القريبة .

الزوج : أخشى .. أن .. إننى يجب ..

الزوجة : (**تسرع مقاطعة زوجهـا**) إن زوجـى يريـد أن ينبـئك أن فى القريـة « كونستابل » !

الزوج : جوان !.. لقد تحدث الكونستابل إلينا يا سيـدى ، وقال إن السيارة ليست ملكك ، لذلك فسآخذهـا منك !

مات : (**متراجعا**) هذا صحيح . ولكنها .. ليست ملكك أنت الآخر !.. اسمع ، تعال نذهب إلى القرية معا . فى السيارة . فإننى سأجتاز القرية بأمان إذا كنتما معى ، ثم أودعكما عند نهايتها .

الزوج : ولكن .. ماذا ؟.. لا ..

مات : وإذا خدعتنى فلن تملك شيئا إذا أنا انطلقت بأقصى سرعة ، وقذفتك من السيارة . إننى لا أريـد بك سوءا ، فيجب أن لا تبغى بى سوءا .

وتهبط الستار ، لترتفع من جديد مؤذنة بمضى بضع دقائق .. والمشهد الجديد يمثل حجرة الجلوس فى كوخ أنيق ، تجلس فيه آنستان من العوانس : « مس جريس » — فى السابعة والأربعين — منهمكة فى إعداد الشاى ، و « مس دورا » ، تقف فى النافذة ، وهى فى ثياب تنم عن أنها عائدة لتوها من الصيد .. وهى أصغر من الأخرى سنا .

مس دورا : كل امرىء كان يبحث عن السجين الهارب .. يا للمطارد التعس !

مس جريس : كل عطف على أمثاله يذهب بددا .

مس دورا : إنه ليس سجينا عاديا . إنه الكابتن دينانت ، أتذكرين قصته ؟

مس جريس : وأذكر كيف تشاجرنا بسببها !

مس دورا : إنك قاسية يا جريس ..

يندفع « مات » فجأة — خلال باب الشرفة — وهو يلهث ، بادى الارتباك ، ويشير بيده فى رجاء ، ثم يختفى وراء ستار الشرفة . ولا يلبث صاحب المزرعة أن يظهر .

صاحب المزرعة: أين ذهب الهارب ؟.. لقد تسلق سياج كوخكم .

مس دورا : آه ، لقد لمحته .. عبر الحديقة ، وقفز ثانية فوق السياج — خلف الكوخ — إلى الخارج .. أسرع !

وينصرف الرجل ، ويتلاشى الضجيج . وإذ ذاك يخرج « مات » من مخبئه ، فيشكر « مس جريس » .

مس جريس : لست أنا (**تتحول إلى مس دورا**) ما أبشع أن تكذبى

هكذا .. ومن أجل سجين !

مس دورا : هل لك فى قدح من الشاى يا سيدى ؟

يجلس ويتناول القدح شاكرا ، بينما تحملق مس جريس فى استنكار .

مس دورا : لابد أن الفرار أرهقك .. ألم يكن جنونا أن تهرب ؟

مات : لست أرى ذلك ، فقد أرتنى محنتى مدى طيبة الناس .. سأنصرف !

فتسأله أن ينتظر ، وتغيب فى حجرة أخرى ، فتنتهز مس جريس الفرصة لتؤنبه إذ يستغل ما لأختها من عطف إنسانى ، ويشجعها على أن تزج بنفسها فى موقف حرج . ولا تلبث أن تعود مس دورا لتقول لمات إنها ستتيح له مخبأ .. وتتجادل الأختان .

مس دورا : إنه بيتى كما هو بيتك ، ولست أطيق أن أرى جنديا وسيدا مهذبا ، تطارده ثلة من الأوباش !.. فإذا لم تقرى هذا ، فاصعدى إلى الطابق الثانى ، وسأقول إنك لم ترى شيئا !

ولكن « مات » يكون فى تلك الأثناء قد تسلل وغادر الكوخ ، ليدع هما وثامهما . ولا يلبث أن يعود المطاردون ، فيفتشوا الدار ، والشك يراودهم ، ولكنهم لا يعثرون له على أثر .. وتهبط الستار لترفع ثانية عن حجرة الثياب فى كنيسة القرية — تضيئها فتيلة تشعل بالزيت — والقس منهمك فى نقل بعض الأشياء .. **وفجأة يظهر « مات »** .

مات : إننى ألوذ بحمى الكنيسة يا سيدى !

القس : ماذ تعنى ؟.. من أنت ؟ (**يكشف مات تحت سترته**

عن ثياب السجن) آه ، السجين الهارب ؟.. ما كان ينبغى أن تأتى إلى هنا !

مات : وإلى أين ألجأ إذن ؟.. لقد كانت الكنيسة فيما مضى ..

القس : فيما مضى .. أما اليوم ، فهى تتبع الدولة !.. أظننى قرأت أنك كنت الكابتن دينانت الذى ..

مات : (**ينظر إليه فى صمت برهة**)أجل .. إن الموت لدينا — نحن الذين خضنا الحرب — ليس كما يبدو لك .

القس : كنت أنا الآخر فى الحرب . أتنشد حماية الكنيسة ؟! أتمنى — أحيانا — لو كنت تابعا للكنيسة الرومانية .. هذا موقف لم أجربه من قبل .

مات : لقد أوشكت قواى أن تخور يا سيدى ، ولو سمحت لى أن أستريح قليلا ، فهذا جل ما أبغى .

القس : اجلس يا عزيزى (**يغلق الباب**) إنهم لن يروا ما بداخل الحجرة .. وما أحسبك إلا جائعا ؟

مات : لا ، شكرا .. (**فجأة**) ما رأيك فى أن تسلمنى إليهم أيها الأب ؟

القس : الأب ! (**يتحرك متأثرا ، ويواجه مات**) ومن أكون حتى أسلمك ؟.. إننى إنسان مسكين مثلك ، وقد لا أملك أن أساعدك ، ولكن .. استرح ، إذا شئت أن تستريح .

مات : (**على غرة**) ترى ماذا كان يفعل المسيح ؟

القس : هذا أعوص سؤال يا كابتن دينانت ، فما من أحد يعرف .. كلما قرأت ما كتب عنه ، تبينت أن من العسير أن تحدس تصرفاته ، فقد كان نابغة ، ومن الصعب علينا أن نحذو حذوه !.. هل برح بك التعب ؟

مات : (**وقد جلس مسندا مرفقيه إلى ركبتيه ، ومسلما رأسه إلى راحتيه**) ما ظننت إن المرء يستطيع أن يحتمل كل هذا التعب .. وما شعرت — حين فررت من ألمانيا — بنصف ما أعانى الآن !

القس : ومن الذين يطاردونك ؟.. أهل القرية ؟.. رعيتى؟

مات : (**يقف**) يا لله !.. حقا أيها الأب !.. يجب أن أنصرف !

القس : (**يضغط بيده على كتفه حتى يجلسه**)لقد طلبت الحماية ، وما أدرى أن من حقى أن أطردك من هنا (**يقدم له بعض الشراب**) قل لى ، ما الذى حملك على الهرب ؟

مات : احبس قطا بريا فى قفص ، ثم اترك الباب مفتوحا عن سهو ، وانظر ما يحدث ! (**يتأمل وجه القس**) آه أفهم ما تعنى .. ولكننى دفعت ثمن حماقتى منذ أمد طويل . صحيح إنه لم يكن ينبغى أن أضرب المخبر ،



فهذه خطيئة ، ولكن عقوبة الضرب العادى ستة أسابيع على الأكثر ، أما أنا فقد قضى على بالسجن لأربعة أعوام لقاء ارتطام رأسه بالسياج الحديدى ..

القس : إذا كنت مرتاح الضمير ، فهذا كل ما ينبغى !.. لست أحفل بما لقيصر ، فقد اعتاد قيصر أن يعني بشئونه ، إنما الذى أحفل به هو طمأنينة النفس والضمير ، و.. راحة الفكر ، بحيث لا تظل تعاودك أفكار معينة . **وعندما ترحل ، أترى من حقى أن أظل صامتا دون أن أخبر رعاياى بأننى كتمت أمرك ؟.. هل من حقى أن أقعد عن مساعدة « القانون » دون أن أطلعهم على ذلك** ؟.. وهل أستطيع — إذا أطلعتهم — أن أحتفظ بما لى من نفوذ قليل عليهم ؟.. هذه مشكلتى يا كابتن دينانت !

يعالج أحدهم الباب من الخارج ، فيخف إليه القس .

القس : (**من وراء الباب**) من هناك ؟.. إننى مشغول يا توماس ، ولا أسمح لأحد بالدخول إلى أن يحين موعد القداس . (**يقف لحظة منصتا ، ثم يعود إلى وسط الحجرة ، ويقول لمات**) : هذا قارع الأجراس !

مات : (**بصوت واهن**) : لن أنسى أننى فى ضيافة الله أيها الأب ، ولكننى لا أريد أن أثقل على ضميرك . سأنصرف .. ألا ليت لى جناحين !

القس : سأعقد قداسا فى منتصف السابعة ، ولكن لن يكون ثمة سوى واحد أو اثنين ، فيما أحسب ، فكن الثالث .. وبوسعك أن تحظى بقسط من الراحة أثناء الصلاة .

ولكن « مات » يؤثر الانصراف ، فيسأل القس أن يباركه . وفى تلك اللحظة يدوى طرق شديد على الباب ، فيسرع « مات » إلى الاختفاء بين الأثواب المعلقة ، وهو يقول : « لقد وقعت ! يا ألله » !.. ويفتح القس الباب فى قنوط ، فإذا قارع الأجراس و « الكونستابل » وصاحب المزرعة والعاملان .

قارع الأجراس: إن الكونستابل يعتقد أن من حقك أن تعرف أننى رأيت رجلا يدخل المكان منذ قليل .

الكونستابل : إنه السجين الهارب يا سيدى (**يشرح قصة العثور عليه ومطاردته**) ، هل أنت هنا منذ زمن طويل يا سيدى ؟.. إن الباب الأمامى مغلق ، ولكن نريد التأكد من خلو الكنيسة .

القس : إننى هنا منذ ساعة (**يتقدمهم نحو باب الكنيسة**) لست أدرى إن كان من حقكم أن تفتشوا مكانا مقدسا ، ولكن .. تفضلوا !

يبقى قارع الأجراس ، فيرسم القس له علامة الصليب ، ويدعوه

للانصراف . ويبدو عدم الارتياح فى نظرات الرجل وحركاته ، ويعود صاحب المزرعة معلنا أنهم لم يعثروا على أحد . ولكن عينيه تتفرسان فى وجه القس فى شىء من الريبة ، فيحاول القس الابتسام .

صاحب المزرعة: إنه لثعلب مستميت فى المراوغة . ولكن ما الذى وراء هذه الأثواب ؟

يتحرك القس نحو الأثواب ، وفى تلك اللحظة يعود « الكونستابل » والعاملان الزراعيان ، فينحون باللائمة على قارع الأجراس لأنه زعم أنه لمح شخصا يلج المكان . ويهم الجميع بالانصراف .

صاحب المزرعة: (**فجأة**)لحظة واحدة .. (**للقس**) معذرة يا سيدى ، ولكن .. أواثق أنت من أنك لم تر ذلك المخادع ؟ .. هل تقسم بشرفك كسيد مسيحى محترم بأنك لم تر السجين الهارب ؟

يسود المكان صمت ثقيل .

القس : إننى ..

مات : (**يظهر من مخبئه ، وقد خلع المعطف الذى كان يخفى ثوب السجن تحته**) : يقينا إنه لم يرنى . معذرة يا سيدى ، فقد كنت مختبئا هنا . إننى أسلمك نفسى أيها الكونستابل (**يقدم له يديه**) .

ينطلق صاحب المزرعة فى السباب .

القس : الزم الهدوء فى هذا المكان ، وانصرف .. فإنك تلحق بالله عارا !

ينصرفون تباعا ، وقد أدهشهم غضب القس ، ويبقى « مات » فى قبضة الكونستابل .

مات : (**للقس**)اغفر لى يا سيدى ! ما كان ينبغى أن آتى إلى هذا المكان !

القس : لا ، لا! .. لقد فعلت ما كان ينبغى !

مات : إن المرء لا يستطيع أن يهرب من نفسه ..

القس : هذا صحيح .. (**بصوت خافت**) فليحفظك الرب !

يرقب « مات » وهو ينصرف مع الكونستابل .. وتدق الأجراس مؤذنة بموعد القداس .. وتسدل الستار .

* * *


AN IDEAL
HUSBAND
OSCAR WILDE
زوج مثالى!
لأوسكار وايلد


قصة الفساد الاجتماعى
والسياسى فى كل بلد!..

فساد المجتمع .. كما عالجه أوسكار وايلد

● رغم أن هذه المسرحية كتبت فى إنجلترا فى أواخر القرن الماضى (إذ مثلت لأول مرة فى لندن عام ١٨٩٥) ، فإنك تحس وأنت تقرؤها كأنك تعيش فى مصر خلال الأعوام العشرة التى سبقت قيام الثورة !.. الفساد الاجتماعى هو هو ، والرشوة واستغلال النفوذ والأهواء الشخصية هى هى .. واتجار بعض أعضاء البرلمان بسلطتهم فى سبيل جمع المال .. وتدخل النساء فى شؤون الحكم ومصالح الدولة فى سبيل الإثراء غير المشروع .. ثم الجو الموبوء بالدنس والفضائح الخلقية والمساومات المشينة !.. كل ذلك بعض ما تعالجه هذه المسرحية الفذة التى أبدعتها عبقرية الكاتب الإنجليزى الساخر « أوسكار وايلد » .. الذى قدمت لك من قبل اثنتين من مسرحياته الخالدة ، هما : « خطايا الحب » — فى « كتابى » الأول — و « مروحة الليدى وندرمير » ، فى الكتاب الثامن من هذه السلسلة .

الفصل الأول

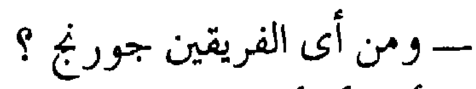
● ترفع الستار ، فإذا نحن نرى « ليدى تشيلترن » — وهى سيدة فى السابعة والعشرين ، ذات جمال إغريقى جليل — تستقبل ضيوفها عند قمة السلم ، تحف بها مظاهر الفخامة والأناقة .. وإلى يمينها مدخل غرفة الموسيقى ، وإلى يسارها مدخل يؤدى إلى قاعات الاستقبال .. وعلى أريكة من طراز لويس السادس عشر ، جلست سيدتان رائعتا الحسن تتحدثان عن المجتمع وحفلاته .. وتخوضان فى

سير أفراده — كما هى عادة أكثر النساء فى المجتمعات — ولا تلبث أن تنهض السيدتان إلى قاعة الموسيقى .. بينما تستقبل ليدى تشيلترن شيخا مهيبا فى السبعين من عمره ، هو « لورد كافرشام » ، الذى يبادر مضيفته قائلا : « ترى هل رأيت ابنى الذى لا يصلح لشىء ؟ » .

فتجيبه مبتسمة بأن ابنه « اللورد جورنج » لم يصل بعد .. بينما تفد « ميبل تشيلترن » — أخت رب البيت ، وهى حسناء تمثل أروع صور الجمال الإنجليزى — فتحتج على ما وصف به اللورد ابنه من أنه « لا يصلح لشىء » ، إذ أنها ترى فى ركوبه الخيل كل صباح ، وتردده على « الأوبرا » ثلاث مرات فى الأسبوع ، واستبداله ثيابه خمس مرات فى اليوم .. ترى فى كل ذلك ما ينفى عنه أنه خامل كسول !

ويشكو اللورد المسن للعذراء الفاتنة حال المجتمع اللندنى ، فتهتف : « آه .. إننى أحب المجتمع اللندنى ، وأعتقد إنه قد تحسن بدرجة كبيرة .. فقد أصبح يتألف من أغبياء ذوى جمال ، ومعتوهين أنيقين .. »

أوسكار وايلد



— ومن أى الفريقين جورنج ؟

— أوثر أن أعتبره نوعا قائما بذاته !

وتقبل إذ ذاك ليدى ماركبى ، وهى سيدة ودود ، سمحة الوجه ، تصحبها امرأة أخرى تدعى مسز شيفلى ، ذات شعر أحمر ووجه متورد ، وعنق طويل ، وعينين يمتزج فيهما اللونان

الأخضر والرمادى ..

وتشكر ليدى ماركبى ربة البيت لأنها سمحت لها باستصحاب صديقتها ، وتقدمها إليها ، فتتأمل ليدى تشيلترن السيدة ثم تقول :

ليدى تشيلترن : أعتقد أننى التقيت بمسز شيفلى من قبل .. ما كنت أعرف أنها تزوجت ثانية !

ليدى ماركبى : (**فى تلطف**) إن الناس اليوم يتزوجون بقدر ما يسعهم الزواج .. هذه هى « المودة » !

مسز شيفلى : (**وهى تعبث بمروحتها**) أحقا تلاقينا من قبل يا ليدى تشيلترن ؟.. لقد تغيبت عن إنجلترا ردحا طويلا .

ويتضح أنهما كانتا زميلتين فى المدرسة .. وتعرب الضيفة عن شوقها إلى أن ترى لورد تشيلترن ، فقد سمعت عنه الكثير فى « فيينا » ، كما أن نجاحه فى وزارة الخارجية جعل اسمه يتردد فى الصحف ..

ويقبل إذ ذاك « الفيكونت دى نانجاك » ، وهو ديبلوماسى شاب عرف بأناقة ربطات عنقه وبميله إلى كل ما هو إنجليزى ، فيحيى مسز شيفلى فى شوق .. وندرك من حديثهما أنهما تعارفا فى برلين منذ خمس سنوات ..

ويلج المكان رب الدار « سير روبرت تشيلترن » . الذى يبدو أصغر شكلا من سن الأربعين التى بلغها .. أنيقا ، حليقا ، وسيم الطلعة ، ذا شخصية ، يستطيع أن يفصل تماما بين فكره ومشاعره .. ومع أنه لم يكن مشهورا ، إلا أنه كان موضع إعجاب فئة من الناس ، ومناط احترام الكثيرين .. يلوح من مسحة الزهو التى تلاحظ عليه ،

أنه معتد بما أحرز من نجاح فى الحياة . ويبدو عليه أنه ذو مزاج عصبى ، وأنه متعب ، مرهق ..

وتبدى ليدى ماركبى رغبتها فى أن تعرفه بمسز شيفلى ، فيخيل إليه إنه على معرفة بالاسم ، فتقول الليدى : « إنها قد وصلت حديثا من « فيينا » .. فهى كثيرة الترحال ، وجعبتها غنية بقصص الفضائح عن أصدقائها ! » .

وإذ تقدمه إلى صديقتها ، يقول وهو ينحنى لها : « كل أمرئ يموت شوقا إلى معرفة مسز شيفلى الرائعة .. إن الملحق بسفارتنا فى « فيينا » لا يكاد يكتب عن سواها ! » .

وتشكره السيدة قائلة إنها تبينت أن زوجته كانت زميلة لها فى الدراسة ، وكانت تحرز دائما جوائز حسن السلوك !

سير تشيلترن : (**مبتسما**)وأى جوائز كنت تحرزين ؟

مسز شيفلى : لقد أحرزت جوائزى فيما بعد .. وما أظن بينها جائزة لحسن السلوك ..

سير تشيلترن : أعتقد أنها كانت جوائز للفتنة والسحر !

مسز شيفلى : ما عرفت أن النساء يجازين للفتنة ، بل أعتقد أنهن يعاقبن عادة عليها !

ويسألها عما دعاها إلى أن تهجر « فيينا » برحها .. وهل للسياسة أثر فى ذلك ، فتقول : « إن السياسة هى ملهاتى الوحيدة .. فإن الشائع اليوم أن ليس للمرأة أن تتقبل الغزل ما لم تبلغ الأربعين ، ولا أن تكون عاطفية قبل أن تبلغ الخامسة والأربعين .. فليس إذن أمامنا ــ نحن المسكينات

اللاتى لم نتجاز الثلاثين ـــ سوى السياسة وأعمال البر .. وأنا أوثر السياسة ! » .

سير تشيلترن : إن الحياة السياسية عمل نبيل ..

مسز شيفلى : أحيانا .. كما أنها فى بعض الأحيان لعبة بارعة يا سير روبرت .. لكنها فى أحيان أخرى مصدر إزعاج وضيق .. لقد كنت أسعى للقائك ، صدقنى .. إنك تعرف فضول المرأة ! كنت شديـدة الشوق لأن ألقــاك . وأسألك صنيعا .. وإن كنت لا أراه بالأمر البسيط ..

ويسألها عما تبغى ، فترجئ الحديث فى ذلك ، ثم تقول : « دعنى أجوس خلال دارك الجميلة .. لطالما قال لى البارون أرنهايم .. » .

سير تشيلترن : (**مجفلا**)هل تعرفينه ؟

مسز شيفلى : أوثق المعرفة .. وأنت ؟

سير تشيلترن : عرفته مرة .. كان رجلا ممتازا .. من عدة وجوه .

ويصل إذ ذاك اللورد جورنج ، وهو شاب فى الرابعة والثلاثين ــــ وإن بدا أصغر من ذلك ـــ رفيع التربية ، لا غبار على أناقته ، يداعب الحياة ، وينسجم مع الدنيا .. ويولع بأن يبدو غامضا !.. ويقدمه سير روبرت إلى مسز شيفلى ، فتقول : « لقد قابلت اللورد جورنج من قبل .. إن ذاكرتى مدهشة .. أوَ ما زلت أعزب يا لورد ؟ » .. ويسألها اللورد جورنج عن المدة التى ستمكثها فى لندن فتقول : إن مداها يتوقف على الجو ، وعلى طريقة طهو الطعام ، و .. على سير روبرت ! » .

ويتسلل جورنج إلى حيث كانت « ميبل تشيلترن » شقيقة صاحب

القصر ، فيندمج معها فى حديث نلمس منه أنهما متحابان .. ويسألها فجأة : « من الذى أحضر مسز شيفلى إلى هنا ؟.. إن هذه المرأة لعوب .. وخبيثة .. إنها عبقرية فى النهار ، وفتنة فى الليل ! » .

وإذ تخرج « ميبل » يفد اللورد كافرشام على القاعة ، فيأخذ فى لوم ابنه على إفراطه فى السهر واللهو ، والشاب يتلقى اللوم فى دعابة ، حتى ينقذه مقدم مدعوة أخرى تدعى ليدى بازيلدون ، التى تبدى دهشة لوجوده قائلة : « ما كان يخطر لى أنك تقبل على حفلات السياسيين » .

جورنج : بل إننى أعجب بها .. فإنها المكان الوحيد الذى لا يتكلم فيه الناس فى السياسة !

ليدى بازيلدون : إننى أستطيب الحديث فى السياسة ، ولكنى لا أطيق الإنصات لحديث غيرى فيها ..

جورنج : إن المرء إذا استمع سهل اقتناعه .. والرجل الذى يسمح لنفسه بأن يقتنع ، شخص عديم العقل والحجى .

ليدى بازيلدون : هذا يفسر كثيرا مما لم أفهمه فى الرجال ، وكثيرا مما لا يقدره الرجال فى زوجاتهم !

فتتدخل مسز مارشموند قائلة وهى تتنهد : « إن أزوجنا لا يقدرون فينا شيئا ، بل علينا أن نسعى إلى سواهم ننشد عندهم التقدير !.. لقد تزوجنا من رجال يمثلون الكمال فى الأزواج .. ولهذا حق علينا العقاب » .

جورنج : ظننت أن الرجال هم الذين نزل بهم العقاب .. ما رأيكما فى مسز شيفلى ؟

مسز مارشموند : سمعت أنها قالت فى الأوبرا مساء يوم الاثنين إن المجتمع اللندنى لا يتألف إلا من نساء مهملات لمظهرهن .. ورجال مغالين فى الأناقة !..

على هذا النحو تدور الأحاديث فى السهرة .. حتى يلتقى سير روبرت تشيلترن ومسز شيفلى من جديد .. فتؤكد السيدة للدبلوماسى الناجح أن إقامتها فى إنجلترا تتوقف عليه !.. وتمضى قائلة : « **أريد أن أتحدث إليك فى موضوع سياسى ومالى عظيم .. موضوع شركة قناة الأرجنتين .. إننى أعرف أنك تهتم بمشروعات القنوات الدولية .. ألم تكن سكرتير اللورد رادلى حين ابتاعت الحكومة أسهم قناة السويس ؟** » .

ويجيب سير روبرت بأن قناة السويس أتاحت لإنجلترا طريقها إلى الهند ، فى حين أن مشروع الأرجنتين ليس سوى مغامرة ، بل خدعة للعبث بالبورصة !.. وقد حصلت وزارة الخارجية على كافة المعلومات التى تثبت هذا .. ثم يضيف : « أرجو أن لا تكونى قد ساهمت فى المشروع ..؟ »

مسز شيفلى : بل ساهمت بمبلغ كبير جدا ..

سير تشيلترن : ترى من الذى نصحك بمثل هذا العمل الأحمق ؟

مسز شيفلى : صديقك العريق ، وصديقى : البارون أرنهايم !

سير تشيلترن : أخشى أننى لا أملك ما أنصحك به .. بل إننى سأقدم إلى مجلس العموم غدا تقرير البعثة التى أوفدناها للتحرى عن المشروع ..

مسز شيفلى : هذا ما يجب ألا تفعله .. لمصلحتك قبل مصلحتى !.. يجب أن تسحب التقرير بزعم أن أعضاء البعثة تحيزوا ، أو تعرضوا لمن ضللهم .. وأن تقول إن الحكومة ستعيد النظر فى المسألة ، وإنك تعتقد أن القناة ستكون ذات قيمة دولية كبرى .. إننى جادة فيما أقول ، ولو أنك فعلت ما أسألك لـ .. لدفعت لك الثمن بسخاء !

ويبهت سير روبرت ، ويصر على أنه لا يفهمها فتقول : « **إنك رجل على خبرة بالدنيا .. والناس اليوم مضطرون إلى الإسراف فى الإنفاق .. وأرجو أن تكون معتدلا فى الشروط التى تمليها .. »** .

وينهض فى أنفة قائلا : « أرجو أن تسمحى لى باستدعاء عربتك لتنصرفى .. إذ يبدو أنك عاجزة عن أن تتبينى أنك تتحدثين إلى سيد إنجليزى مهذب ! »

مسز شيفلى : بل أدرك أننى أتحدث إلى رجل أقام ثروته وحظه على بيع أسرار الوزارة لمضارب فى البورصة !.. **إننى أعرف حقيقة البداية التى بدأت بها ثروتك ومنصبك ، ولدى خطاب كتبته إلى البارون أرنهايم حين كنت سكرتيرا للورد رادلى .. خطاب كتب قبل إقدام الحكومة على شراء أسهم قناة السويس بثلاثة أيام ، تخطره فيها بأن يبتاع أسهما هو الآخر .. ما كان أغباك إذ ظننت أن هذا الخطاب قد أعدم .. إنه فى حوزتى !.. وأنا أعرضه للبيع .. والثمن الذى أنشده**

هو تأييدك لمشروع قناة الأرجنتين .. يجب أن تساعدنى وأصدقائى على أن نجمع ثرواتنا من هذه القناة ، كما جمعت أنت ثروتك من القناة الأخرى !

سير تشيلترن : لا أستطيع أن أفعل ما تطلبين .. إنها دناءة .. هبى أننى أصررت على الرفض !؟

مسز شيفلى : سيكون فى ذلك خرابك !.. إن الأخلاق هى الهواية التى يشغف بها الناس فى أيامنا هذه .. ولقد كانت الفضائح فيما مضى تضفى على المرء سحرا ، فغدت الآن تقضى عليه !.. وفضيحتك مستهجنة جدا ، فلن يقدر لك أن تنجو منها .. نعم ، لو أذيع أنك حين كنت سكرتيرا لوزير كبير فى شبابك ، بعت أحد أسرار الوزارة لقاء مبلغ ضخم ، وأن هذا كان أساس ثروتك ومنصبك ، لطردت من الحياة العامة تماما !.. إننى الآن غريمتك ، وإنى لأقوى منك ، وفى صفى أنصار أقوياء .. كل امرئ مسوق إلى أن يدفع ثمن ما أتت يداه ، طال الزمن به أو قصر !.. وأنت تعرف صحافتكم الإنجليزية يا سير روبرت .. هب أننى قصدت — بمجرد مغادرتى هذه الدار — إلى إحدى الصحف وأفضيت إليها بالفضيحة والبراهين ؟!

سير تشيلترن : كفى... سأدفع لك أى مبلغ تطلبين ..

مسز شيفلى : إنك لم تؤت من المال ما يكفى لابتياع الماضى !

ويلح عليها أن تمهله حتى يفكر ، ولكنها لا تتزحزح عن موقفها .. وينتهى إلى أن يعدها بسحب التقرير !

ويفد إذ ذاك بعض القوم ، وبينهم ليدى تشيلترن ، فتقول لها مسز شيفلى إنها استطاعت أن تكسب زوجها إلى صف مشروع قناة الأرجنتين ، وإنه سيتحدث فى مجلس العموم غدا مؤيدا المشروع ، فتقول الليدى . « إننى واثقة من أن هذا المشروع لا يمكن أن يحظى بتأييد زوجى .. »

مسز شيفلى : أؤكد لك أننا اتفقنا .. على أن الأمر سيظل سرا مكتوما بيننا خلال الأربع والعشرين الساعة التالية !

وتعثر « ميبل تشيلترن » بعد انصراف مسز شيفلى على « بروش » ثمين على الأريكة ، فيأخذه لورد جورنج ويحتفظ به قائلا لها : « سأسألك رجاء غريبا .. لا تذكرى لأحد أننى استحوذت على (البروش) ، فإن كتب إليك أحد يسأل عنه فأنبئينى .. ذلك لأننى سبق أن أهديته لسيدة ما ، منذ عام ! » .

وتخلو ليدى تشيلترن إلى زوجها بعد انفضاض الضيوف ، فتقول له : « ما أظن من الصحيح يا روبرت أنك ستؤيد تلك المغامرة الأرجنتينية ؟.. لقد أنبأتنى بهذا تلك المرأة التى تدعو نفسها مسز شيفلى .. إنها امرأة كانت فى المدرسة كاذبة ، غير أمينة ، ذات تأثير سيىء على كل من تصاحبهن .. وكانت تسرق .. بل إنها فصلت من المدرسة بسبب السرقة ! »

ويحاول أن يقنعها بأنها ربما تكون قد تغيرت ، لكنها تقول : « محال ،

إن حاضر المرء هو عين ماضيه ! »

ويسعى إلى أن يوهمها بأنه كان على خطأ فيما اتخذ من رأى إزاء المشروع من قبل ، فتهيب به أن يصارحها بما إذا كان صادقا فى قوله ، ولكنه يراوغ ، ويقول إن هذا التغير فى الرأى كان ضرورة ماسة .. فتقول : « **ما من ضرورة تدفع إلى عمل غير شريف !.. وإلا فما الذى أحببته فيك ؟.. وما هى هذه الضرورة التى طرأت ؟.. ما الكسب الذى تظفر به ؟.. أهو مال ؟.. لا حاجة بنا إلى مال ، بل إن المال الذى يأتى من طريق مدنس يتحول إلى مذلة !.. أم هو سلطان ؟.. إن السلطان فى حد ذاته ليس شيئا ، ما لم يهدف إلى عمل طيب .. ثم إنك لست من أولئك الذين يأخذون الحياة على أنها مغامرة .. أنت بالذات لست منهم .. لقد كنت طيلة عمرك طرازا وحيدا ، وما تركت الدنيا تفسدك قط .. لقد كنت دائما مثلا أعلى بالنسبة للجميع ، كما كنت بالنسبة لى ، فابق كما أنت .. مثلا أعلى .. إننا معشر النساء إذا أحببنا عبدنا من نحب .. وإذا كفرنا ، ضيعنا كل شىء !.. لا تقتل حبى لك !.. إننى أعرف أن فى حياة بعض الرجال أسرارا فظيعة .. فهل فى حياتك سر مشين !** » .

وإذ يؤكد لها أن ليس فى حياته سرا يخفى عليها ، تهيب به أن يكتب لمسز شيفلى بأنه لن ينفذ وعده : « اكتب لها فى هذه اللحظة .. يجب أن تعرف فورا أنها أخطأت ، وأنك لست الرجل الذى يرتكب أمرا وضيعا أو غير شريف .. قل لها إنك تربأ أن تؤيد مشروعها ، وتراه مشروعا غير نظيف ! » .

... ويكتب الخطاب ، فتستدعى الخادم وتأمره بأن يحمله فورا إلى مسز شيفلى فى فندقها ، وتتحول إلى زوجها بعد انصراف الخادم فتعانقه قائلة : « إن الحب يا روبرت يفتح بصيرة المرء .. أشعر بأننى أنقذتك الليلة من شيء كان من المحتمل أن ينطوى على خطر لك .. ما أراك تستبين أنك يا روبرت قد أدخلت على الحياة السياسية فى عصرنا جوا ساميا ، نظيفا ، طاهر المرامى .. ومثلا عليا رفيعة .. » .

الفصل الثانى

● **فإذا** كان الفصل الثانى رفعت الستار عن قاعة الجلوس بدار آل تشيلترن ، وقد جلس فيها لورد جورنج ، فى أبهى أناقته ، بينما وقف سير روبرت صاحب الدار أمام المدفأة ، فى استغراق وهم باديين !

لورد جورنج : هذه مسألة شديدة الإحراج ، وكان ينبغى أن تصارح زوجتك بكل شيء .. إن كتمان الأسرار متعة لذيذة إذا كان بالنسبة لزوجات الغير ، لا بالنسبة لزوجة المرء .. فليس لرجل أن يكتم سرا عن زوجته لأنها لن تلبث أن تعرفه ، فإن للنساء غريزة عجيبة تكشف هذه الأمور !

سير تشيلترن : ما كان فى وسعى أن أنبئ زوجتى .. ولو أننى أخبرتها ليلة أمس لأدى ذلك إلى انفصال يدوم طيلة العمر ،

ولفقدت حب المرأة الوحيدة التى أعبدها فى هذه الدنيا .. فما كانت لتحجم عن أن تتحول عنى فى ذعر .. واحتقار !

جورج : إذا كانت زوجتك على هذه الدرجة من الكمال ، فخليق بى أن ألقى عليها حديثا جديا عن الحياة .. دعنى أحاول .. وإن كنت أحب أن أقول إنه كان ينبغى أن تنبئها منذ سنين !

تشيلترن : متى ؟.. أعندما كنا خطيبين ؟.: أفتظن أنها كانت تتزوج منى لو كانت علمت أصل ثروتى ، وأساس منصبى ، وأننى ارتكبت عملا أعتقد أن معظم الرجال يصفونه بأنه عار وضعة ، رغم أنهم يفعلون عين الشىء يوميا .. ورغم أن فى حياتهم أسرارا أسوأ وأبشع !؟.. ثم ، أى إنسان أوذى مما فعلت ؟.. لا أحد ..

جورج : إلا نفسك !

تشيلترن : أمن العدل أن يشهر فى وجهى الآن ما فعلته منذ ثمانى عشرة سنة تقريبا ؟.. أمن الإنصاف أن تدمر حياة رجل لغلطة ارتكبها فى صباه ؟.. لقد كنت فى الثانية والعشرين من عمرى ، وكان من سوء حظى أننى ولدت من أصل طيب ، ونشأت فقيرا .. وهما صفتان لا تغتفران للإنسان فى أيامنا هذه !

جورج : إن الحياة لا تنصف قط يا روبرت ..

تشيلترن : إن كل رجل طموح مضطر لأن يكافح عصره بنفس

أسلحته !.. وهذا العصر يقدس الثراء .. المال هو إلـٰه هذا القرن .. ولابد لك من ثروة لكى تنجح !

جورنج : إنك تهون من شأن نفسك .. صدقنى إنه كان فى وسعك أن تنجح بلا ثروة !

تشيلترن : ربما .. عندما تتقدم بى السن .. عندما أفقد تحمسى للسلطان ولا أستطيع أن أفيد منه .. لقد أردت النجاح فى الشباب .. وما كان بوسعى أن أتريث !

جورنج : ولقد نلته .. صرت وكيلا لوزارة الخارجية فى سن الأربعين !

تشيلترن : وإذا انتزع منى الآن ؟.. إذا فقدت كل شىء فى فضيحة بشعة ؟

جورنج : كيف بعت نفسك بالمال يا روبرت ؟

تشيلترن : (منفعلا)بل اشتريت النجاح بثمن غال !

جورنج : أجل .. ولكن ما الذى أغراك على ذلك ؟

.. ويعترف بأن البارون أرنهايم هو الذى زين له ذلك : **كان رجلا واسع الذكاء والثقافة ، التقى به ذات مساء فى حفلة عشاء لدى لورد رادلى ، فراح يتحدث عن النجاح وكأنه « علم » ذو قواعد محددة .. وأسهب فى شرح أفظع الفلسفات : فلسفة السلطان !.. وأخذ يبشر بأروع الرسالات : رسالة الذهب !.. وبعد أيام ، دعاه لمقابلته ، وراح يريه روائع التحف الثمينة التى كان يقتنيها .. وأذهله بألوان الترف التى كان يحيا فيها .. ثم أخبره بأن الترف ليس سوى إطار**

أو « رتوش » للسلطان — السلطان على الغير ، وعلى الدنيا — بما يتبع هذا السلطان من لذة ونشوة !

.. ويمضى السير روبرت مستطردا : « ولقد منحتنى الثروة سلطانا هائلا .. بل منحتنى حرية فى حياتى .. وحرية فى كل شىء !.. إنك لم تكن يوما فقيرا ولا طموحا حتى تعرف روعة الفرصة التى أتاحها إلى البارون .. فعندما انصرفت ، قال لى إنه سيجعلنى واسع الثراء إذا استطعت أن أمده بأية بيانات سرية ذات قيمة حقيقية .. وبهرتنى الفرصة .. وبعد ستة أسابيع ، وقعت فى يدى بعض مستندات سرية .. » .

جورنج : مستندات حكومية ؟.. ما كان يخطر لى ببال أنك — من دون رجال الدنيا أجمعين — كنت من الضعف بحيث تخضع لمثل إغراءالبارون أرنهايم !

ولكن سير روبرت لا يرى فى الخضوع للإغراء ضعفا ، بل إن من الغواية ما يستلزم قوة وشجاعة كى تنساق له !..ولقد كسب البارون أرنهايم من وراء المعلومات ثلاثة أرباع المليون من الجنيهات ، فأعطاه ١١٠ آلاف منها !.. ومن ثم استطاع أن يظفر بعضوية مجلس العموم ، ولم تنقض خمس سنوات حتى كان قد أنمى ثروته إلى ثلاثة أمثالها .. بإرشادات البارون ونصائحه !

جورنج : ولكن ، أخبرنى .. ألم تشعر قط بندم على ما فعلت ؟

تشيلترن : لا ، بل شعرت بأننى حاربت العصر بأسلحته ففزت عليه .. أوَ تحتقرنى يا آرثر ؟

جورنج : بل أنا شديد الأسف من أجلك ..

تشيلترن : لا أقول إننى عانيت أى ندم .. ولكننى دفعت فى الخيرات قدر ذلك المبلغ عدة مرات !

ويعده اللورد جورنج بأن يساعده بقدر ما فى وسعه .. ويقره على أن الاعتراف بما فعل سيفقده كل مكانة ، ويقضى عليه .. ولكنه يلح عليه أن يفضى إلى زوجته بالسر !.. ثم يعترف بأنه خطب يد « مسز شيفلى » مرة ، ولكن علاقتهما لم تدم لأكثر من ثلاثة أيام .. ثم يسأله عما إذا كان قد عرض عليها مالا ، فيقول سير روبرت إنها رفضت ..

جورنج : إذن ، فإغراء الذهب يخفق أحيانا .. ومن ثم فالغنى لا يستطيع أن يحصل على كل شىء !

تشيلترن : أعتقد أنك على حق ، وأشعر بأن ثمة فضيحة عامة ترتقبنى .. قط ما عرفت الذعر من قبل ، وها أنذا أعرفه الآن .. لكأنه يد من جليد تطبق على قلب المرء !.. ولكن ، أليس من حقى أن أستعمل أى سلاح أجده فى صراعى ضد مسز شيفلى ؟.. سأبرق بالشفرة إلى سفاراتنا فى « فيينا » للتحرى عن أى شىء يشينها !

جورنج : ما إخالها إلا كسيدات عصرنا اللائى يجدن فى الفضيحة « مودة » يسعين إليها !

ويبادر سير روبرت إلى إرسال البرقية .. ولا تلبث أن تقبل ليدى تشيلترن .. فينسحب زوجها ، بينما تتحدث هى إلى لورد جورنج عن مسز شيفلى وعن إصرارها فى الليلة الماضية على أن يسحب زوجها وعده لتلك المرأة !.. وتضيف « إن وفاءه بهذا الوعد كان خليقا بأن

يكون أول وصمة فى حياة خلت دائما من كل شائبة .. يجب أن يبقى روبرت فوق كل ما يشين ! » .

وفى لباقة وحذر ، يشرع لورد جورنج فى الحديث عن النجاح وكيف يضطر بعض الناس إلى أن يخوضوا الوحل فى سبيل الوصول إليه .. وعن النفس البشرية وكيف أنها لا تخلو قط من ناحية من نواحى الضعف .. وعن الإنسان وكيف أنه لا ينجو دائما من الخطأ والحماقة ..!

ثم تقبل عليهما« ميبل تشيلترن » ، وقد بدت آية فى الأناقة والبهاء .. وبعد حديث عابر ، ينصرف اللورد جورنج .. وتفد ليدى ماركبى مستصحبة مسز شيفلى ، ويتضح أنهما أقبلتا تسألان عن « بروش » ظنت مسز شيفلى أنها فقدته فى الدار فى الليلة السالفة .. فتستدعى ليدى تشيلترن كبير الخدم ، ولكنه يؤكد بأنه لم يعثر على حلية كهذه فى أية قاعة بالدار ..

وبعد حديث تافه مما يدور بين النساء فى كل مجتمع ، تستأذن ليدى ماركبى فى الانصراف ، تاركة مسز شيفلى .. فما أن تخلو إليها ليدى تشيلترن حتى تجمع أمرها ، وتستجمع شجاعتها وتقول لها : « أعتقد أن لى أن أخبرك بصراحة تامة بأننى لو كنت عرفت تماما حقيقتك لما دعوتك إلى دارى ليلة أمس ! » .

وتبتسم مسز شيفلى فى رباطة جأش وتجيبها : « لم يتغير فيك شىء بعد كل هذه السنين .. كأنما لم تعلمك الحياة شيئا ! » .

ليدى تشيلترن : بل علمتنى أن الشخص الذى يرتكب إثما أو عملا غير

مشرف مرة ، قد لا يتورع عن ارتكابه مرة ثانية !

مسز شيفلى : أوَ تطبيقين هذا على كل إنسان ؟.. إذن ، فكم آسف من أجلك يا جروترود .. أتعرفين إننى لا أحفل ألبتة بما تقولينه فى الأخلاق ، فليست الأخلاق سوى المسلك الذى نتخذه إزاء الناس الذين نكرههم .. وإنى لأدرك تماما أنك تكرهينني .. ومع ذلك فقد جئت لأؤدى لك خدمة ..

ليدى تشيلترن : كتلك التى أردت أن تؤديها لزوجى ليلة أمس ؟.. لقد أنقذته منها والحمد لله ..

مسز شيفلى : إذن فاحمليه على أن يفى بوعده .. وسأمهلكما حتى صباح الغد .. لا أكثر .. إننى أقبض على زوجك فى يدى ، فإذا كنت عاقلة ، فدعيه يفعل ما أنبئه به !

فتسير إليها ليدى تشيلترن قائلة : « وما شأن زوجى بامرأة مثلك ؟ » .

مسز شيفلى : (**فى ضحكة لاذعة**)إن الطيور على أشكالها تقع .. ولولا أن زوجك محتال وضيع ما انسجم معى .. إن بينك وبينه ثغرات سحيقة .. أما هو وأنا فأكثر تقاربا من أى صديقين حميمين .. إننا عدوان ارتبط كل منهما بالآخر .. ربطتنا خطيئة واحدة !

ليدى تشيلترن : اخرجى من بيتى ، فأنت غير أهل لأن تلجبه !

ويقبل سير روبرت إذ ذاك من خلفهما ، فيجمد فى مكانه ويغيض لونه . بينما تقول مسز شيفلى : « **بيتك !.. بيت ابتيع بثمن العار .. بيت دفع ثمن**

كل شيء فيه بالغش .. (وتلمح سير روبرت فتمضى قائلة) : **سليه عن أصل ثروته .. دعيه يخبرك كيف باع سرا من أسرار الوزارة إلى سمسار فى البورصة !.. انظرى إليه .. هل ترينه يستطيع إنكارا ؟ »** .

تشيلترن : اخرجى حالا .. لقد ارتكبت أسوأ أفعالك ..

مسز شيفلى : لم أفرغ من كليكما بعد .. سأمهلكما إلى ظهر الغد !

وإذ تنصرف ، تقف ليدى تشيلترن مذهولة ، وكأنها فى حلم رهيب .. وتتطلع إلى زوجها بنظرات غريبة ، كما لو كانت تراه للمرة الأولى ، ثم تسأله فيما قالته تلك المرأة ، فيقول : « إنك لا تدركين كيف أغويت .. دعينى أروى لك كل شيء » .

ويقترب منها فتصيح : « **لا تقربنى .. إننى أشعر كأنك لطختنى إلى الأبد ! .. أى قناع كنت ترتديه كل هذه السنين !.. بعت نفسك بالمال .. أواه !.. إن اللص العادى أفضل من ذلك .. كذبت على الدنيا كلها ، ومع ذلك تزعم أنك لن تكذب على ؟.. لا تتكلم !.. إن صوتك يوقظ ذكريات قاسية .. ذكريات كانت حبيبة فأصبحت فظيعة .. لقد كنت أعبدك .. كنت أعبدك .. كنت أرى فيك مخلوقا فوق مستوى الدنيا .. طاهرا ، نبيلا ، أمينا .. بلا شائبة .. ما أقسى أن أفكر فى أننى جعلت من رجل مثلك .. مثلى الأعلى .. المثل الأعلى فى الحياة كلها !**) .

تشيلترن : وهنا كانت غلطتك .. الخطأ الذى ترتكبه كل النساء .. لم لا تحبنا النساء كما نحن ، بأخطائنا ؟.. إننا معشر الرجال حين نحب النساء ، نحبهن ونحن نعلم بنواحى .

ضعفهن ، وبحماقاتهن ونزواتهن ، وبنقائصهن ، فلا يزيدنا هذا إلا حبا لهن .. إن المخلوق الناقص — لا الكامل — هو الذى يحتاج إلى الحب !.. إنما ننشد الحب حين نكون جرحى — بأيدينا أو بأيدى سوانا — ليشفى جراحنا .. وإلا فأى نفع للحب ؟. إن الحب يجب أن يغفر كل الذنوب ، اللهم إلا الذنب الذى يوجه إليه بالذات !.. هذا هو حب الرجل .. أقرب إلى الطبيعة الإنسانية من حب المرأة ، فالنساء يخلن أنهن يجعلن من الرجال مثلا عليا ، ولكنهن فى الواقع لا يجعلن منهم سوى أصنام زائفة !.. وقد جعلت منى صنمك الزائف ، فلم أجد الجرأة كى أهبط إلى مستوى البشر ، وأطلعك على جراحى ، وأخبرك بنواحى ضعفى .. أنت التى منعتنى .. فلتكف النساء عن اتخاذ مثل عليا من الرجال ، وإلا دمرن حياتهم كما دمرت أنت — أنت التى شغفت بها حبا — حياتى ! » .

ويغادر الحجرة .. وتندفع زوجته نحوه ، ولكن الباب يغلق قبل أن تبلغه .. فتلقى بنفسها إلى جوار أريكة ، وتنخرط فى البكاء كالطفل ..

* * *

الفصـــل الثـالث

● فإذا كان الفصل الثالث ، فقد جلس لورد جورنج فى غرفـة مكتبه بداره ، متأهبا للانطلاق إلى سهرته .. وإذا هو يتلقى رسالة عرف من خطها أنها من ليدى تشيلترن ، وقد كتبت فيها :« **أنا فى حاجة إليك .. وأعتمد عليك .. وسآتى إليك** » .. وأدرك أنها قد عرفت كل شىء عن زوجها .. فعول على إقناعها بأن تقف إلى جوار زوجها ، لأن الإفراط فى تقدير الخلق هو الذى يقضى على الزيجات بالفشل !

ولكن أباه يفد على غير توقع ، ويصر على أن يتحدث إليه فى أن الوقت قد حان لكى يتزوج ويكف عن حياة العزوبة والانطلاق !.. ويضرب له بسير روبرت تشيلترن مثلا يجب أن يحتذى .. ويصمم على أن ينتزع منه موافقة على الزواج !

ويظل اللورد الشاب يتلطف إلى أبيه حتى ينتقـل بـه إلى غرفـة التدخين ، خشية أن تفد ليدى تشيلترن فجأة فيراها .. ويصدر أمره مشددا إلى الخادم بأن يقود السيدة عند وصولها إلى حجرة الجلوس ولا يسمح لأى مخلوق آخر بالدخول أو بمقابلته ..

وفجأة تصل مسز شيفلى على غير انتظار ، فتعجب إذ يقول لها الخادم إن اللورد كان فى ارتقابها ــ فلقد أخطأ الخادم لأن اللورد لم يذكر له اسم التى كان يرتقبها ! ــ ولا تلبث مسز شيفلى أن تعثر على رسالة ليدى تشيلترن على المكتب ، فتلمع عيناها بالفوز ! وإذ تهم

بسرقتها يدخل الخادم ، فتدس الرسالة تحت نشافة فضية على المكتب .. ويدعوها الخادم إلى حجرة الجلوس فتتبعه .. ولكنه لا يكاد يغادرها ، حتى تتسلل نحو المكتب ، وإذا بها تسمع صوتى لورد جورنج وأبيه ، ينبعثان من وراء باب قاعة التدخين ، وهما يتجادلان فى أمر الزواج !

ولا يكاد اللورد جورنج يفرغ من أبيه ويودعه ، حتى يفاجأ بمقدم سير روبرت تشيلترن ، فيرتبك .. وبينما يبادره سير روبرت بأنه قد جاءه فى محنة ، إذ اكتشفت زوجته كل شىء عن سره .. وينبئه بأن الرد الذى تلقاه من « فيينا » لم يتضمن شيئا ضد مسز شيفلى ، أكثر من أن البارون أرنهايم قد ترك لها الشطر الأكبر من ثروته ..

ويظن لورد جورنج أن ليدى تشيلترن هى التى فى غرفة الجلوس ، فيقود سير روبرت إلى قاعة التدخين وقد اعتزم أن يدير دفة الحديث بحيث تجد فيه زوجته ، إذ تسمعه ، الدرس الذى أراد أن يلقيه عليها !.. وعلى هذا الاعتبار يسأله : « ألست تحب زوجتك يا روبرت ؟ » .

تشيلترن : أحبها أكثر من أى شىء فى العالم .. كنت أظن أن الطموح أعظم من كل شىء فى الدنيا ، ولكنى وجدت أن الحب أعظم الأشياء !.. بيد أننى هويت فى نظرها ، وأصبحت بيننا هوة واسعة .. وهى امرأة فاضلة ، ولذلك فلا هوادة لها فى الكمال .. إنها لا ترحم ضعفا ولا تغفر خطيئة !

ويحاول لورد جورنج أن يصرفه ، ولكنه يقول له : « يجب أن أقرر ما ينبغى أن أفعله الليلة فى مجلس العموم .. إن مناقشة مشروع قناة

الأرجنتين ستبدأ فى الحادية عشرة ! » .

وفجأة يهوى مقعد فى الغرفة المجاورة ، فيحاول اللورد جورنج أن يقنع سير روبرت بأن لا أحد هناك ، ولكن الرجل يخشى أن يكون ثمة من استرق السمع وعرف سره .. فيندفع إلى الغرفة المجاورة ، ثم يعود وفى عينيه نظرة ناقمة !.. ويهتف لورد جورنج وهو يظن أن الزائرة هى ليدى تشيلترن : « أقسم لك بشرفى أنها لا تحمل شائبة ولا وزرا .. إنها ماجاءت إلى هنا إلا من أجلك .. لتحاول إنقاذك .. إنها تحبك أنت .. ولا أحد سواك ! » .

ويغادر سير روبرت الدار ناقما وهو يصيح : « لقد كذبت بما يكفى لتشويه كلمة الشرف ! » .

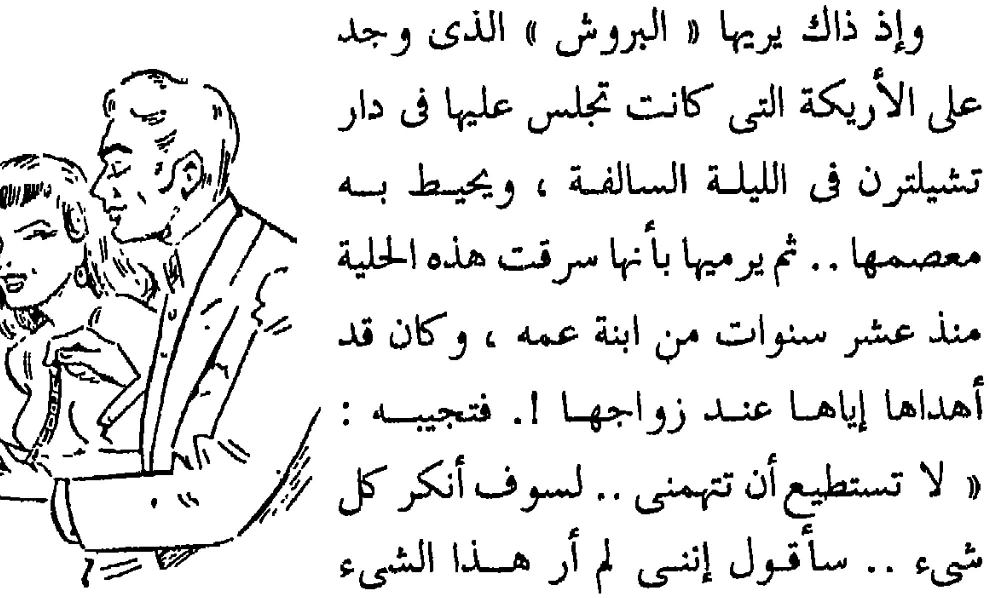
ويفاجأ لورد جورنج بمسز شيفلى تنفذ إلى الغرفة، معترفة بأنها شغوف باستراق السمع خلال الأبواب .. ثم تباغته بأنها جاءت تبيعه خطاب روبرت تشيلترن مقابل شرط واحد !.. وندرك هذا الشرط حين تروح تذكره بحبهما القديم ، وبالخطوبة التى كانت بينهما والتى فسخها إذ فاجأها فى « غزل عنيف » مع رجل آخر !

جورنج : يخيل إلى أن محاميّ قد سوى هذه المسألة تحت شروط .. أمليتها بنفسكِ !

مسز شيفلى : كنت إذ ذاك فقيرة .. وكنتَ غنيا .. لكننى اليوم سئمت الحياة فى الخارج ، وأريد أن أعود إلى لندن .. وعندما رأيتك أمس لدى آل تشيلترن أيقنت أنك الوحيد الذى حفلت به ، إن كنت حفلت بأحد .. ففى الصباح

الذى يعقد فيه قرانك على ، أسلمك خطاب تشيلترن .. بل إننى أعطيكه فى الغد إن وعدت بأن تتزوجنى !

وإذ تشتم أنه رافض ، تقول « **إذن فأنت تؤثر أن تسلم صديقك الحميم روبرت تشيلترن ، على أن تتزوج من امرأة ما زالت تحتفظ بكثير من الجاذبية ؟.. إننى على استعداد لأن أنزل عن أروع ما فى حياتى لأكون زوجة لك !.. ولكنك ترفض .. حسنا .. إذا لم يؤيد السير روبرت مشروع الأرجنتين فسوف أفضحه !** » .



وإذ ذاك يريها « البروش » الذى وجد على الأريكة التى كانت تجلس عليها فى دار تشيلترن فى الليلة السالفة ، ويحيط به معصمها .. ثم يرميها بأنها سرقت هذه الحلية منذ عشر سنوات من ابنة عمه ، وكان قد أهداها إياها عند زواجها !. فتجيبه : « لا تستطيع أن تتهمنى .. لسوف أنكر كل شيء .. سأقول إننى لم أر هذا الشيء المنحوس .

وتحاول أن تنزع الحلية من حول معصمها ، ولكنها كانت قد اعتادت أن تستعملها كبروش ، ولم تكن تدرك أنها تصلح كسوار ، ومن ثم لم تكن تعرف تثبيتها ونزعها !.. وإذ تخفق فى التخلص منها ، تسأله عما ينتوى أن يفعل .. فيقول لها فى هدوء : « سأطلب إلى خادمى أن يدعو البوليس ! » .

وينهار جلدها إذ تسمع ذكر البوليس ، فتسأله عن الثمن الذى يبغيه لتجنيبها الفضيحة .. فيقول : « أعطينى خطاب روبرت تشيلترن .. لا تكذبى فهو معك ! » .

وتسلمه الخطاب وقد شحب وجهها ، فيروح يفحصه بدقة ، ثم يحرقه .. وإذ ذاك تسأله أن يناولها كوب ماء .. وفيما هو موليها ظهره ، تسرق رسالة ليدى تشيلترن .. وإذ تتأهب للانصراف ، تقول له : « سأسدى لروبرت تشيلترن خدمة كبيرة .. سأرسل له الخطاب الغرامى الذى أرسلته لك زوجته الليلة ! » .

ويدرك ما تعنى .. فيهرع نحوها لينتزع الخطاب منها بالقوة ، لكنها تكون قد ضغطت على زر الجرس فيحضر الخادم على الأثر .. وإذ ذاك تلتفت إليه قائلة فى هدوء : « لقد استدعاك سيدك كى تصحبنى إلى الباب .. طاب مساؤك يا لورد جورنج ! » .

الفصل الرابع

● فإذا كان الفصل التالى ، رأينا لورد جورنج واقفا إلى جوار المدفأة فى قاعة الجلوس بدار تشيلترن ، وقد بدا عليه التأفف والسأم .. وإذا هو يفاجأ بوالده يلج القاعة وهو يقول : « ماذ تفعل هنا ؟.. أظنك تضيع وقتك كالمعتاد ؟ » .

جورنج : إن المرء حين يزور إنسانا يا أبت العزيز ، فإنما يسعى إلى

إضاعة وقت ذلك الإنسان لا وقته هو !

ويعود اللورد كافرشام إلى إثارة موضوع زواج ابنه ، ويمهله حتى موعد العشاء ليقطع بأمر .. ثم يسأله : « **هل قرأت « التايمز » هذا الصباح ؟.. هل رأيت افتتاحيتها عن الحياة السياسية لروبرت تشيلترن ؟ »** .. (ويجزع الابن ، لكن الأب يمضى قائلا) : **لقد كان خطابه عن مشروع قناة الأرجنتين ليلة أمس من أروع ما ألقى فى مجلس العموم من خطب .. لقد فضح المشروع ، وكشف كل الفساد السياسى الحديث ! »** .

ويعيب لورد كافرشام على ابنه إخلاده لحياة الدعة والترف والخمول .. ولا تلبث أن تفد عليهما « ميبل تشيلترن » فتتعمد تجاهل لورد جورنج فى دلال .. وسرعان ما ينصرف اللورد المسن ، فنتبين أن « ميبل » غاضبة من الشاب لأنه لم يوافها فى موعد كانا قد اتفقا عليه ليتريضا على جواديهما .. ولكن لورد جورنج يفاجئها بأن يسألها أن ترضى به زوجا .. فتبتهج وتقول : « الآن ، يجب أن أرى جرترود » .

جورنج : إذن ، أخبريها بأننى أريد أن أتحدث إليها فى أمر ذى بال .. وقد مكثت هنا طيلة ضحى اليوم على أمل أن ألقاها أو ألقى روبرت ..

وتفد ليدى تشيلترن ، فتلاحظ « ميبل » إنها شديدة الشحوب .. ولا يلبث لورد جورنج أن يخلو إلى زوجة صديقه فيطمئنها إلى أنه أحرق الخطاب الذى كان يدمغ زوجها بالعار ، وأنه لم يعد ثمة من هو مهدد بخطر سواها ، إذ سرقت مسز شيفلى رسالتها إليه وأعدت خطة

لاستغلالها !.. ويقترح أن يسبقاها إلى روبرت فيطلعاه على جلية الأمر .. فتقول له : « أتريدنى على أن أنبئ روبرت بأننى المرأة التى كنت تتوقع زيارتها لك وليست مسز شيفلى .. وأنى التى كنت تظنها مختبئة فى الغرفة الأخرى فى الساعة العاشرة والنصف مساء ؟.. لا .. لا أستطيع !.. وإنما يجب أن نحول دون وصول خطاب مسز شيفلى إليه .. ولكن سكرتيريه يفضون رسائله ، ولست أجرؤ على أن أسأل الخدم أن يحضروا إلى خطاباته أواه !.. لم لا ترشدنى إلى ما أفعل ؟» .

وفيما هما يتجادلان ، يصل سير روبرت ، وفى يده رسالة زوجته ، يقرأها وهو يقدم نحوها غير منتبه إلى وجود لورد جورنج ، قائلا : « أنا فى حاجة إليك .. وأعتمد عليك .. وسآتى إليك » .. أواه ، يا حبيبتى .. أحق هذا ؟.. أحقا تعتمدين على وتحتاجين إلى ؟.. إن خطابك هذا يا جرترود يجعلنى أشعر بأن ليس فى الدنيا ما يستطيع أن يمسنى بضر الآن ! » .

ويشير إليها لورد جورنج كى تجاريه .. بينما ينسحب من الغرفة .. ويحتويها سير روبرت بين ذراعيه قائلا : « لقد فض سكرتيرى الخطاب دون أن يفطن إلى خط يدك على الغلاف ، ثم دفعه إلى فقرأته .. أواه !.. لم أعد أحفل بعار أو عقاب .. بل لم أعد أفكر إلا فى أنك تحبيننى !.. لكم يسرنى أننى ألقيت ذلك الخطاب فى مجلس العموم ليلة

أمس .. ألقيته وأنا أتوقع أن تكون نتيجته فضيحة عامة .. ولكن هذا لم يحدث » .

ليدى تشيلترن : بل جاءت نتيجته تكريما عاما !

تشيلترن : وهذا ما أخشاه .. فمع أننى فى مأمن الآن من أى قرينة تكشف زلتى ، إلا أننى أعتقد يا جرترود أن من واجبى أن أعتزل الحياة العامة ..

وتنبهه إلى وجود لورد جورنج ، فيسير إلى حيث كان لورد جورنج ، قائلا إنه لا يدرى كيف يشكره ، فيهم اللورد بأن يذكر له أن خير ما يقدمه من شكر أن يوافق على زواجه من أخته « ميبل » .. ولكن مقدم اللورد كافرشام يقطع عليهما الحديث .. **ويفاجىء اللورد المسن رب الدار بأن رئيس الوزراء قرر أن يعينه وزيرا ، وأنه قد حمل إليه خطاب التعيين بنفسه !.. ويقرأ سير روبرت الخطاب ، ويهم بأن يقبل ، لولا أن يلمح زوجته توجه إليه نظرة ذات معنى ، فيقول : « لا أستطيع أن أقبل المنصب .. لقد جمعت أمرى على أن أرفضه .. إننى أعتزم اعتزال الحياة العامة فورا .. » .**

وتستبد الدهشة باللورد كافرشام حتى تحمله على الغضب ، فينحى باللائمة عل سير روبرت ، ويلجأ إلى ليدى تشيلترن يستعين بها على إقناع زوجها ، لكنها تجيبه وهى ممسكة بيد زوجها : « إننى أوافقه على مسلكه .. بل أعجب به ! قط ما أعجبت به قدر ما أنا معجبة الآن » .. وتجذب زوجها إلى غرفة المكتب ليكتب الاعتذار .. فيسائل اللورد كافرشام ابنه عما أصاب الزوجين ، فيقول : « إنه ما نسميه اليـــوم

إسرافا فى الجرى وراء المثل العليا الخلقية ! » .

ويسأل الابن أباه أن يلحق بميبل فى الحديقة فيحدثها عنه .. ولا تلبث أن تفد ليدى تشيلترن ، فيقول لها اللورد جورنج : « لماذا تنفذين مآرب مسز شيفلى .. لقد حاولت أن تهدم زوجك ، إما بالعمل على أن يطرد من الحياة العامة ، أو بحمله على اتخاذ موقف غير مشرف .. ولقد أنقذته من النكبة الأخيرة ، ولكنك تدفعينه الآن إلى اعتزال الحياة العامة !» .

وتحاول أن تبرر مسلكها ، ولكنه لا يلبث أن يكشف عن الفلسفة القابعة وراء مظهره الأنيق العابث : « **لقد كتبت لى أنك تعتمدين على وتريدين معونتى .. وهذا هو الوقت الذى تمس فيه المعونة ، ويلزم فيه أن تعتمدى على ، وأن تثقى فى مشورتى وحكمى .. إنك تحبين روبرت ، فهل تريدين أن تقتلى حبه لك ؟.. أى وجود ينعم به إذا هو حرم ثمار طموحه ؟.. إن النساء لم يخلقن ليحكمن علينا ، وإنما ليغفرن لنا إذا ما احتجنا نحن إلى غفران .. إن رسالتهن هى العفو لا العقاب .. إن روبرت على استعداد لأن يفعل أى شىء ، لأن يهدم حياته ، كى لا يفقد حبك !.. إنه يضحى من أجلك ، فاستجيبى لنصحى وارفضى التضحية .. إننا لم نخلق ــ معشر الرجال والنساء ــ ليتقبل كل منا تضحيات الفريق الآخر !.. ثم إن روبرت تلقى من العقاب ما فيه الكفاية ..** » .

ويلج سير روبرت إذ ذاك ليطلع زوجته على ما كتب ، ولكنها تمزق الخطاب قائلة : « إن حياة الرجل أثمن من حياة المرأة .. إن له مهاما أعظم ، ومجالا أوسع ، وآمالا أسمى .. لن أفسد عليك حياتك ، ولن

أراك تفسدها كتضحية من أجلى .. انس كل شىء .. فما أسهل ما ينسى الرجال .. ولسوف أغفر لك ، فهذا هو أسلوب النساء فى بذل العون للمجتمع .. » .

ويدرك الدور الذى لعبه لورد جورنج ، فيقبل عليه يشكره .. ولكن هذا يجيبه : « إنك الوصى على أختك يا روبرت ، وأنا أنشد موافقتك على زواجى منها ! » .

وتغتبط ليدى تشيلترن ، بينما يقول روبرت : « **آسف يا أرثر ، فالأمر ليس موضع تردد .. إننى مكلف بأن أرعى سعادة أختى ، ولا أظن أن سعادتها ستكون بمأمن بين يديك .. إن الزواج الذى يقوم على حب ، فظيع .. وأفظع منه الزواج الذى يقوم على حب ، من أحد الجانبين فقط !.. إن أحد القلبين لن يلبث أن يتحطم بكل تأكيد .. إنك لا تستطيع أن توفر لميبل الحب الذى تستحقه** ! » .

ويذكره — أمام ليدى تشيلترن — بالمفاجأة والظروف التى وجد مسز شيفلى فيها عنده ليلة أمس ! — وقد حسبها عشيقته — فلا تتمالك ليدى تشيلترن أن تصارح زوجها بأنها الضيفة التى كان لورد جورنج يتوقعها ، وبأنها كانت تريد أن تراه لتسأله أن يساعدها على علاج الموقف .. ولكن مسز شيفلى زراته فجأة ، وسرقت خطابها إليه !

وينجلى الموقف .. ويوافق روبرت على زواج أخته من لورد جورنج .. ويدخل الخادم معلنا العشاء ، فيخرج الجميع .. **لكن سير روبرت**

يبقى ثم يتهالك فى أحد المقاعد مستغرقا فى التفكير .. ولا تلبث أن تعود ليدى تشيلترن لترتمى فى عناقه ، فيتناول يدها ويسألها : « أهو حب ذاك الذى تحسين به نحوى يا جروتود ، أم مجرد عطف ؟ » .

فتجيبه وهى تقبله فى هيام : « بل هو حب يا روبرت .. حب ، ولا شىء غير الحب .. إن حياة جديدة تتفتح أمام كلينا » .

ويسدل الستار الأخير

* * *

رقم الإيداع ٣٥٧٧ / ١٩٩٢
الترقيم الدولى 977 - 11 - 0731 - 3

دار مصر للطباعة
سعيد جوده السحار وشركاه

حلمي مراد يقدم كنوز كتب التراث

١ ـ رسالة الغفران
٢ ـ الأمـير
٣ ـ العقد الاجتماعي
٤ ـ سـالومي
٥ ـ جيوكندا
٦ ـ مدرسة الأرامل
٧ ـ ألكسندر ديماس
٨ ـ مروحة اللادى وندرمير
٩ ـ مذكرات كازانوفا
١٠ـ حياتي مع بيكاسو
١١ـ أوسكار وايلد
١٢ـ مـوزار (وأعلام آخرون)
١٣ـ ملكات ونساء
١٤ـ الأسلحة والإنسان
(ومسرحيات أخرى)
١٥ـ الملك أوديب
١٦ـ دكتور فاوس
١٧ـ ليدى هاملتو

الثمن ٢٥٠ قرشا

دار مصر للطباعة
سعيد جوده السحار وشركاه